الفصل الأول

obeikan.com

obeikan.com

الجبتانا

الجبتانا متن مقدس أي سورتا، وهي كلمة مصرية قديمة انتقلت إلى الساميات بنفس الاستخدام المصري، والكلمة المصرية وتعديلاتها موجودة في كلمة سورة في الساميات تقترب من سيفر أو سِفر، وهذا النص يروي قصة بدء الخلق والعبادات والمعتقدات الدينية المصرية القديمة، وبداية تجمع السلالة المصرية القديمة حول وادي النيل، وبداية ظهور الحضارة ومقوماتها؛ الزراعة وأدواتها، واستئناس الحيوان وتجفيف المستنقعات حتى زمن مصرع أوزوريس الناسوتي وتحوله إلى صورة لاهوتية حتى زمن الاتحاد الثاني على يد مينا "نارمر"، كتب وجمع على يد مانيتون المؤرخ المصري .

كانت الجبتانا نصًا مقدسًا يتلى في القداسات والصلوات ويحفظه الكهنة، ولّما دخلت المسيحية كان الكهنة يتلونها ودخلت كجزء من الصلوات، أما بعد عصر الشهداء وبداية اضطهاد الأرثوذكس الأقباط لاذوا بالفرار إلى الجبال وإلى الصحراء، وردّدوا الجبتانا كنص مقدس يربطهم بما يؤمنون به، ومع دخول الإسلام واللغة العربية شعر المصريون بالخوف على اللغة المصرية وما يرتبط بها من تراث، عادت الجبتانا إلى الظهور باعتبارها نصًا دينيًا محسوبا على القبطية (مثلما اعتبرت الكنائس والمجامع المقدسة الغربية أرسطو جزءًا من فكر المسيحية الغربية)

وظلت الجبتانا تُرَدد في المواسم والاحتفالات القبطية، واستخدمها بعض الرهبان المعلمين لتعليم الطلاب القراءة والكتابة حتى نهاية العصر الفاطمي في مصر .

في العصر الحجري القديم عاشت أصول الجنس المصري في السهول الخضراء التي تصحرت بعد ذلك ونعرفها الآن باسم الصحراء الغربية والشرقية، واعتمدت الأسر المصرية الأولى على الإشارات، وكانت تنطق بعض أصوات قليلة، وكان الذكر الأكبر والأقوي يطرد الذكور الصغيرة والضعيفة إذا كبرت، وكذلك الأمهات القويات الإناث الصغيرات الضعيفات (حياة شبيهة بحياة الأسر الحيوانية العليا كما ورد في أغلب الدراسات والبحوث العلمية) ومع حالة الطرد للصغار يظلون يحملون حنينا للحياة الأولي وللموطن الأساسي تدفعهم للتجمع من جديد، وهكذا تتجمع القبائل والعشائر، ومع زيادة التصحر و قلة المطر وقلة فرص الغذاء لا سيما مع زيادة العدد ومتطلبات الطعام

تحدث المشاجرات والمشاحنات، ويتطور الصراع والـــتراع فتـــتلاحم المجموعـــات ذات الأصول المشتركة والحاجة لعلامة مشتركة كالتعليم بمخالب الطيور على الوجه كعلامـــة مشتركة بين أفراد القبيلة أو المجموعة، ومع التجمع والتقدم يزداد نشاط العقل وتنمو اللغة وتتقدم الحياة .

ويأتي عصر غير مطير، ومع زيادة الجفاف تبدأ بعض المجموعات في الاتجـــاه نحـــو منابع النيل حيث الماء والطعام، وكانت العشائر تخشي الاقتراب من النيل لوجود وحوش وضواري ومفترسات وأخبار عن مسوخ وغيلان، وبدافع حب البقاء تقدمت العشائر نحو منابع النيل وابتكروا نداءات للتعارف والتمايز أو طلب الحاجة والاستغاثة، وكان غالبيتها مقطعين بي – لو ne–lo جب – تو gep–to وهكذا تقدمت عشائر النيلو و جبتو geptonelo لتعيش على ضفاف النيل . ومع مرور الوقت ازداد التصحر، وجـــاءت عشائر أخرى لتصطدم بالقديمة أحيانا وتنصهر وتعيش معها أحيانـــا أخـــرى وتتكـــون مجتمعات جديدة، فنمت اللغة وتقدم الفكر، ومع ازدياد الأمور والشؤون وتعقّد المتطلبات والحاجات ظهر المنظمون والمسيّرون والمسيطرون والساسة ورجـــال الإدارة والحـــرب، وكذلك المتخصصون في إشارات القبائل وأصواتها ورموزها، وكان لكل قبيلة توتم خاص بها من جذوع الأشجار ونحوها، أو من الصخور، ثم تحولوا إلى رجـــال ديـــن وكهنـــة، والمصري القديم توصل لفكرة الخلود والعيش بعد الموت، لذلك آمن بإله خالد ومطلـــق، هذا الخالق يمنحه الحياة بعد الموت (العصر الحجري الحديث النيوليتي)

ويتأمل المصري القديم في الكون وما حوله من ظواهر وسماء ونجوم وكواكب وقمر وشمس وغروب وشروق، فيعتقد أن الإله الخالق لابد أن يكون مجده في الأعـــالي، أي أن الله له عرش فوق السماوات (عقيدة أهل السنة والجماعة في التوحيد)، وكمـــا أوجـــد الخالق للحاكم الأرضي معاونين فلابد أن هناك معاونين ومســـاعدين فـــوقيين سمـــاويين أسموهم تاسوع الملائكة، ومن هنا كان المصريون أول من عرف للملائكة أجنحة، وقـــد أخذها الفكر السامي من ذلك .

ومع رقي الفكر المصري تعرفوا على وجود وازع ديني داعٍ للإله الخالق وهو الضمير دافعا للخير وناهيًا وزاجرًا للشر، ومع الوقت تكونت منظومة من القيم والمبادئ المصرية،

من خلال ملحمة إيزيس وأوزوريس صور المصري الصراع الأبدي بين الخير والشر، وانتقلت هذه المفردات المصرية إلى التراث السامي والعبراني كمفردات لاهوتية (الإله وبداية الخلق واليوم الآخر والثواب والعقاب والجنة والنار (البارديس ومعناها بيت النعمة، جي هنوم معناها وادي العذاب أي الفردوس وجهنم)

ست التي صارت بعد التنوين ساتان ، عوزير هو أوزير وهو عوزير إيل أي عزرائيل في الفكر العبراني.

آمين نفسها آمون المصرية، نبو المصرية معناها النبي أو المبارك أو المقدس أو المرسل، وجبار يحمل اسمًا وصفيًّا لتحوت رسول السماء، وسكان الملأ الأعلى يحمل أوصاف ملاك الرب جبرائيل . هيلا هيلا كانت تردد في المزامير المصرية الخاصة، ثم انتقلت حسب بعض المراجع المسيحية إلى هللويا التي تختتم بها الصلوات والترانيم والمزامير في الكتاب المقدس .ميخانوت التي كانت في الأصل ميخا أي شبيه الإله توت قد انتقلت إلى الساميات في ميخائيل أي شبيه الله.

إن تأثر الفكر العبراني السامي بمصر أمر متفق عليه من المؤرخين، بل وموثق في العهد القديم (**تأثر موسى بكل حكمة المصريين فكان مقتدرًا في الأقوال والأفعال**) آية ٢٢ إصحاح ٧ من أعمال الرسل .(**فاقت حكمة سليمان جميع بني المشرق وحكمة مصر**) إصحاح٤ ملوك أول.

مع الوقت تسلط الكهنة على الناس وزادت شكليات ورمزيات المعتقد مثل التحكم في مصائر الموتي، و أخذوا أموالاً كثيرة من أهل الموتي، وبالغوا في أسعار المقابر والتوابيت والتحنيط، ومع تعقد المراسم والطقوس ظهر المرددون والتماثيل الصغيرة والشوباشية والنواحات والندابات، وكذلك الأبواب الوهمية التي ترشد الكا والبا أو الروح لتصل للميت وتضع الأقنعة دليلا لها، ثم تطورت إلى فكرة التماثيل الشبيهة بالميت ويوضع أمامها موائد القرابين لخدمة روح الميت، وتطورت فكرة الأوقاف من أجل موائد القربان

وخدمة قبر الميت وحراسته، واختل النظام الاجتماعي والوضع الاقتصادي فكان لابد للأرض من الانتظار لمخلّص سماوي لتظهر بشارة المسيح.

دخل الجبتوس المصريون الأقباط إلى المسيحية ونور التوحيد الذي يفتح أبواب السماء لأنقياء القلب والفقراء لا لأصحاب التوابيت الفخمة وأصحاب السلطان والسلطة والجاه والنفوذ، وانبهر المصريون بالكهنة الجدد الرهبان، فهم يتحدثون نفس اللغة المصرية، بل إن متونهم المقدسة تتلى بنفس اللغة (وإن كانت تكتب بحروف يونانية فغالبية المصريين أميين لا يعرفون القراءة والكتابة) ويجاهد المصريون المؤمنون منذ القديس أنطون والقديس بولس ضد بطش الرومان، ثم يجاهدون من جديد لاحتواء الخلاف حول طبيعة يسوع المسيح بين آريوس وإثناسيوس، ويستقر الفكر القبطي في النهاية على رأي مجمع الإسكندرية، بل إن القبطية المصرية أثرت تأثيرًا كبيرًا في الفكر المسيحي العالمي.

وتتروي العبادة المصرية القديمة أمام تقدم المسيحية، ولكن تبقى اللغة المصرية هي اللغة السائدة، وظل يحفظ المصريون نص الجبتانا ويقدسونه خوفًا على لغتهم التي كانوا يعتبرونها توتم مصريتهم.

ومع بزوغ فجر الإسلام ودخوله ظلت اللغة المصرية موجودة حتى العصر الفاطمي، وإن استمرت العائلات القبطية في ترديدها في الكنائس والصلوات والاحتفاظ بنصوص الجبتانا، وظل المصريون المسيحيون يرددون الجبتانا كنص مقدس يربطهم باللغة والتاريخ.

وتعاقُب الديانات على مصر علّم المصريين التسامح و تعدد الطرق إلى الله، وذكر المؤرخون على اختلاف عصورهم و جنسياتهم أن المسيحيين كانوا يستعيرون البسط والشمعدانات من المساجد للأعياد والمناسبات وأحيانا العكس، وفي موسم الفيضان كان يخرج المصريون في موكب يتقدمه السلطان والخليفة وقاضي القضاة و شيوخ الكنيسة المصرية ثم أحبار اليهود ثم حملة الكتب السماوية الثلاثة، وتقام الصلوات والتراتيل باللغات العربية والقبطية والعبرية، والكل يدعو الله لازدهار البلاد ولخيرها.

وذكر جيمس برستيد أن مصر هي صانعة ضمير العالم المتمدن، وأن المتون المصرية هي جذر المتون العبرانية والسامية.

ومن المقطوع به بين المؤرخين أن نصائح المصري القديم الحكيم "بتاح حتب" هي أصل سفر المزامير، كما أن حِكَم "أمين موبي" هي أصل سفر الامثال، إن مصر هي التي أدخلت الحياة الأبدية والبعث والخلود إلى الفكر العبراني السامي، فأقدم أسفار العهد القديم يعبر عن الأمل في استمرار حياة القبيلة استمرارًا عضويا بدائيًا مثل مملكة النحل أو النمل، دون اهتمام بالعالم الآخر (**وأما أنت يا إبراهيم فتمضي إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة**) آية ١٥ إصحاح ١٥ تكوين، (**لأكون إلها لك يا إبراهيم ولنسلك من بعدك وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك**) ٧-٨ إصحاح ١٧ تكوين، (**أكرم أباك وأمك لتطول أيامك على الأرض**) ١٢إصحاح ٢٠ خروج

(**فإن سلكت في طريقي يا سليمان وحفظت فرائضي ووصاياي كما سلك داود أبوك فإني أطيل أيامك**) ١٤ إصحاح ٣ملوك أول، (**ليس للإنسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل، يذهب كلاهما إلى مكان واحد، كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعود**) ١٩ إصحاح ٣ جامعة (**أسلمت جميعًا إلى الموت إلى الأرض السفلى**) ١٤إصحاح ٣١ حزقيال، وواضح أنه لاتوجد أي إشارة لعالم آخر أو حساب أو جنة أو نار، إن دوام اختلاط العبرانيين بالفكر المصري فتح لهم باب البعث والخلود، ولعل أول إشارة واضحة للبعث والآخرة نجدها في سفر دانيال وهو متأخر زمنيا، فقد ورد في الإصحاح ١٢ (**وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدي**) وذكر جوزيف وورد كراتش في كتابه "الإنسان الحديث ومزاجه"- أن كون الإيمان باليوم الآخر مرافقا للجنس البشري يثبت أن الرغبة في الحياة بعد هذه الحياة رغبة عارمة، فالرغبة في الخلود هي احتجاج أو اعتراض على قوانين الطبيعة التي لا تدخل مطالب وغايات الإنسان في حسابها، ففي لحظة ما يتبين للإنسان أن الغاية من وجوده منحصرة في استمرار النوع، إذ لا غاية من وجوده كفرد، فالخلود الذي هو أساس الدين له وظيفة أساسية، وهي أنه صيغة تمكن الإنسان وتؤهله أخلاقيا لحمل فضائل هي في الأصل غرائز حيوانية كإيثار الأبناء والتضحية في سبيلهم أو سبيل الوطن مثل النحلة التي تضحي بنفسها في سبيل الخلية، إن ازدياد وعي الإنسان بفرديته وتميزه عن بقية الكائنات هو الذي يجعله يبحث عن دافع أخلاقي يقوم مقام الغريزة التي يكتفي بها الحيوان، ويتضح من تحليل جوزيف وود كراتش أن الشعوب

الأقرب للبداوة والوحشية تكون أقرب في دوافعها إلى الغرائز الحيوانية المباشرة كاستمرار النوع، أما الشعوب المتمدنة فإنها تؤمن بالبعث والخلود لتربط بهما قيمًا معنوية كالتضحية للأبناء والوطن، ومن هذا المبدأ سبقت مصر حضاريًا ولقّنت العالم الإيمان بالبعث في العالم الآخر.

وتختلف الفلسفة الشرقية عن الغربية؛ فالإيمان الشرقي كان حريصًا على المزج بين الله والعالم، وبالتالي فإن العالم إلهي وإن حركات الطبيعة إلهية، وإن رتابة حركات الحياة لا تعود لكونها تخضع لقوانين أزلية، بل تعود لصيرورة الإرادة الإلهية ودوامها، وبالتالي لا مبرر للسؤال عن العلة؛ لأن الإجابة معروفة بأن الله أراد ذلك، أما العقل الغربي المرتكز على العقل اليوناني النقدي فقد حرر الطبيعة وجعلها في أسر قوانينها، ومن هنا آمن بالعِلّيّة (السبب والنتيجة) ومن هنا آمن العقل الغربي بأن الكون ظاهرة طبيعية تخضع لقوانين يسعى للكشف عنها وترويضها لصالح الإنسان، وبالتالي الإجابة عن السؤال توصل لاكتشاف قوانين (علمية).

يضيف الأستاذ سلامة موسى في كتابه "حرية الفكر" أن الإغريق أول أمة نزعت نزعة علمية لسببين؛ الأول أنها لم تدمج الله في العالم، فالعالم قديم بل إن الآلهة عندهم قد يعجزون عن تحقيق ما يريدون (كالبشر)، والثاني أن ديانة الإغريق لم تتحول إلى شريعة، فكان هناك دائما فصل بين الدين والقانون.

من أبرز ما جاء في نصوص الجبتانا باختصار وتصرف **سفر ١ الرؤية، إصحاح ٣**

قضيت أنا – مانيتون السمنودي – عيد الإله أوزيريس في العام الأول من حكم ثاني البطالمة ضيفًا على سيرابيس القريب من عمود بومبي (يرجح أنه عمود السواري بالإسكندرية) وبعد قداس المساء وصلاة أول الليل نمت واستيقظت مذعورًا، أيقظني حورس في هيئة الصقر مستخدمًا أجنحته المصنوعة من الذهب والياقوت والزمرد، وكانت ترافقه أمه إيزيس، وكانت ترتدي رداءً أرجوانيًا أبهى من زنابق الحقول ومن زهور اللوتس، وابتسمت لي وربتت على كتفي، وكذلك ابتسم لي أوزير (أوزيريس والد حورس) وطمأنني بأنه لن يأخذني معه إلى الغرب (الانتقال للغرب معناه الموت) وقدم لي

جبار أحد معاوني رع (اسم الإله) ويسميه الكنعانيون والادوميون "لاه" وتسميه القبائل العبرانية والسامية "إلوهيم" .

اختفي حورس وعائلته وحملني جبار على ظهره الذي يشبه ظهر الحصان، وطار بي مستخدما أجنحته الذهبية صاعدًا إلى السماء، وتوقف جبار عند الجميزتين السماويتين المقدستين اللتين تقفان شامختين عند مدخل طريق النور المؤدي إلى العرش السماوي، وخلع جبار أجنحته الذهبية وركبها في كتفي وأشار لي أن أواصل الطريق إلى عرش الرب العظيم، وفهمت أنه لا يمكن أن يتجاوز الجميزتين المقدستين وإلا احترق . وجدتني بأجنحة جبار دون إرادة مني واقتربت من قدس الأقداس ففتحت الأبواب النحاسية السبعة بابًا بابًا، ثم فتحت الأبواب الذهبية وأخيرا فُتح الباب الزمردي الذي يقع خلفه سر الأسرار، فإذا عرش عظيم مصوغ من النور والياقوت والعقيق، وتفيض عنه بين لحظة وأخرى أضواء وألوان تشبه قوس المطر، فيضاء قدس الأقداس وعرش الجالس على الكروبيم، وكلما أشرقت الأنوار وكلما فاض عن كل بنبن Ben Ben (هرم ذهبي صغير) تزيد أضواؤه وأنواره يظهر الجالس على عرش الكون وكأنه الذهب ممزوجا بالياقوت واليشب والزبرجد، ساعتئذٍ لم تجد عيناي القدرة على النظر للجالس على العرش، ووجدتني ساجدًا أمام عرش سيد الأكوان .

حول العرش العظيم رأيت تاسوع الملائكة متسربلين بثياب بيض يجلسون على عروش صغيرة تكوّن دائرة حول العرش العظيم، ويرفعون أيديهم إلى الرب العظيم ويدعون المجد لرع الرب العظيم والذي كان آتوم أول الخلق، والذي صار آتون وآمون وتا الذي تحول إلى توت وأصل الروح (خالق) أوزيريس وحورس وإيزيس، المجد لرع الذي سمح لنا بأن نكون معه في الأعالي، والذي بالكلمة — التي هي ذاته – خلق نفسه بنفسه وخلق كل الأشياء والموجودات والكائنات .

أمام عرش الإله رع وتاسوع الملائكة رأيت سبع شموس تتلألأ أنوارها تنطق وتسبح بعظمة الإله، وفي كل زاوية من الزوايا الأربع المحيطة بقدس الأقداس يقف حيوان ضخم في حجم جبل مهول، فبدت هذه الحيوانات محيطة بالمكان كله حتى إن عيني عجزتا عن الإحاطة التامة بإجرام تلك الحيوانات، لكن بدا لي الحيوان الأول كأنه أسد عملاق، والثاني كفرس النهر، والثالث أبو الهول والرابع هو نسر الكروبيم المجنح.

وتتردد تمجيدات للإله قائلة "**قدوس قدوس قدوس هو الرب الإله الأزلي القادر على كل شيء، قدوس هو الرب الإله ذو الصيرورة الدائمة منذ الأزل وإلى الأبد، قدوس قدوس هو الرب الإله الذي خلق نفسه بنفسه منذ أن كان هو آتوم الذي خرج من البيضة الطافية على سطح المياه الأزلية (نون) ثم كونت تشو وتفنوت اللذين أنجبا نوت سيدة السماء وجب جسد الأرض، ويسجد الملأ الأعلى ويقولون للرب الإله لك المجد في الأعالي لأنك تستحق المجد، فأنت القدرة التي تقف خلف كل ما كان وما هو كائن وما سوف يكون**". **إصحاح ٤ نفس السفر**

تبدأ سلسلة المصريين بإيزيس وأوزيريس وحورس مرورًا بالملك عحا المحارب الذي هو نعرمر (مينا نارمر موحد القطرين) حتى زمن الإسكندر، سيطروا على ثلاثمائة وواحد وأربعين جيلا من الناس – كل ثلاثة أجيال تكوّن قرنًا من الزمان – إذن فالتاريخ المصري كله يبلغ أحد عشر ألف عام وثلاثمائة وأربعين عامًا، وأول ملك مينا نارمر يعود تاريخه إلى سنة أربعة آلاف قبل الإسكندر (يذكر نفس الرقم تقريبًا شرّاح التلمود والكتاب المقدس، وكذلك شرّاح المشنا) **إصحاح ٥ نفس السفر**

أقر أنا مانيتون السمنودي بأن الجبتانا هي التاريخ الحقيقي للسلالة المصرية ومعبوداتها ومقدساتها وملوكها وابنائها منذ القدم، منذ بدء التكوين وظهور الإله باسمه الأول آتوم (آتوم هو نفسه رع) وحتى الملك عحا أو نعارمر (الشهير بمينا نارمر موحد القطرين) ومرورًا بالتوحيد الأول للأرضين على يد أوزيريس الناسوتي الذي تحول بعد أن فداه حورس بعينه إلى أوزيريس اللاهوتي باعث الخضرة في مصر والمشرف على طريق الراحلين إلى الغرب (ملك الموت). **أسفار انبثاق العالم والآلهة إصحاح ١**

في البدء لم يكن إلا ماء وضباب، ولم تكن حياة ولم تكن نباتات ولا دبابات (حيوانات) . كان هناك طبقتان متلاصقتان من المياه بينهما فاصل فضي من النور، الجزء الأسفل من المياه هو نون المحيط الأزلي. مياه وضباب وظلمة، فالشمس لم تكن قد تكونت بعد على سطح المحيط الأزلي، نون طفت بيضة ذهبية في حجم ألف بيضة من بيض النعام، ثم حدث انفجار هز الكون كله وانفجرت معه تلك البيضة التي طفت على سطح نون وخرج آتوم (الإله) من تلك البيضة ودفع الطبقة العليا فارتفعت وانفتقت عن الطبقة السفلى التي هي البحار . كانت الظلمة لا تزال مسيطرة، فعطس آتوم قائلاً تشو، فتكوّن

الفضاء، وتفل آتوم فتكونت تفنوت وهي الندى، إذ كان آتوم هو الكلمة، وكان آتوم هو الخالق بإرادته، خلق نفسه بنفسه وبالكلمة تشو خلق الفضاء وبالكلمة تف نوت خلق تفنوت وهي الندى. ظل آتوم في الظلمة يراقب تشو وتفنوت ثم بدا لآتوم القادر على الخلق بالكلمة أن يزوج تفنوت لتشو فقال ليكن زواج بين الاثنين، فتزوجا وحملت تفنوت ألف عام، ثم أنجبت ابنتها السماء واسمها نوت وابنهما جب الذي هو جسد الأرض .وأعجب آتوم بقدرته على التزويج وجعل المتزوجين ينسلون وأمر آتوم السماء نوت أن ترفع السماء بعيدًا عن سطح نون ولما رأى آتوم زرقة السماء وقتامتها حيث لم يكن ليل ونهار، قال للسماء نوت عليك أن تزييني بالسماء فتجعلي فيها مصابيح بالليل و نورًا بالنهار، فاستجابت نوت لكلمة آتوم فكان صباح ومساء. ولكي يكون صباح صنعت نوت قرصًا كبيرًا من ذهب لينير النهار وقرصًا أصغر من الفضة تعاونه مصابيح صغيرة لإنارة الليل، وفجاة تحرك قرص النهار الذهبي وصارت له الكلمة وقال أنا الإله رع لم يعد اسمي آتوم بعد الآن، وفي الليل اهتز القرص الفضي ونطق بالكلمة قائلا لم أعد مجرد مصباح بل أنا القمر خنصو الشجاع المغامر . صارت الكلمة الآن لرع (كان اسمه آتوم) وظهرت قدرة رع الخالقة، كان جب جسد الأرض متواريا أسفل محيط المياه نون، فأمر رع جب أن يظهر للوجود فتلوى جب بحركات اهتز لها الكون وكانت انفجارات ونيران وزلازل، وساعده رع حيث اقترب من جب وأمدّه بنار فارتفعت أجزاء على سطح جب فكانت القارات وانخفضت أجزاء فكانت البحار والمحيطات .

فلما تأمل رع كل ذلك وجده حسنًا؛ أرض تحوي جبالا ومرتفعات، وبحار ووديان وسماء تزينها شمس بالنهار وقمر ونجوم بالليل، وفكر رع قائلا: وماذا بعد، إنني محتاج للحكمة، ولما كانت كلمات رع كلمات خالقة وجدت الحكمة واسمها تحوت.**إصحاح ٢**

قال رع لتحوت إن منظر السماء صار جميلا بالنهار والليل، وإن البحر جميل بحركته واضطراب أمواجه، لكن منظر الأرض الجدباء لا يسرني، فقال تحوت (رمز الحكمة) أيها الرب العظيم رع، بما أنك فوضتني بالحكمة، وبما أنك تخلق بالكلمة، فلتكن حتحور رمزًا لكل أنثي، وليكن أبيس رمزًا لكل ذكر، وليكن ذكر وأنثي في كل شئ، نباتات تنبت من جسد الأرض، أسماك في البحر ودبابات (حيوانات)على الأرض وطيور في السماء .وظل

رع و نوابه التاسوع (رؤساء الملائكة التسعة) و معاونوهم يستمتعون بجنات الأرض ويتأملون مياهها ووديانها وأنهارها ونباتاتها وحيواناتها . كل شئ أرضي يموت ويتجدد بالميلاد، وكل شئ إلهي لا يموت، كل شئ إلهي خالد، فالإله لم يكن قبله شئ ولن يكون بعده شئ .وبعد خلق السحاب والمطر لتنبت الأرض و تزدهر، حملت (قمة الغرب) وهي(رمز للأم الكبرى التي تنجب كل الأشياء)، ولكنها هذه المرة شعرت بضعف في إرادتها، وكان حملها خفيفا فانجبت توأما عجيبا هما جبتو وجبتانا، وكانا متلاصقين من الظهر، ولكن لكل منهما رأسه ورجلاه وذراعاه واعضاؤه التناسلية، ولكنهما جسد واحد متلاصق لا يستطيع أحدهما أن ينظر إلى عورة الآخر. **إصحاح ٣**

كان الملأ السماوي لا يأكلون . بعد خلق الشياطين والعفاريت والجن والمسوخ والتنانين و تكاثر التوائم المتلاصقة (جبتو وجبتانا)، فأراد رع فصل جبتو عن جبتانا (الذكر والأنثي)؛ لأن الالتصاق يجعلها خالدة، والخلود طبيعة الإله، أما الحيوانات البشرية (البشر) فطبيعتهم التزاوج والتكاثر والموت، فشاءت إرادة رع أن يخلق نهرًا عظيمًا في الأرضين، فشربوا منه (التوائم الملتصقة) فأمر رع بفصلهم، فصلت الذكور عن الإناث ونشأ شعب عظيم هم الجبتوس (المصريون) أو النيلوس، ومن هنا جاءت تسمية نهر النيل العظيم . وصار في الأرض صراعات عظيمة، فالبشر أحيانا يميلون نحو جهة الإله والملائكة، ومرة نحو الشياطين والأبالسة والمردة، و كان الشياطين غير مرئيين بالنسبة للبشر ويوسوسون لهم بالشر. و لأن البشر عرفوا الموت والزواج والميلاد، ومن طبيعتهم التصادم والصراع، وبدأ القتل، ورأى رع سائل الحياة الأحمر الذي مد به البشر لكي يعيشوا يُسفك ويروي ثرى الأرض، فعندئذ قال رع إن جنة الأرض (مصر) لم تعد تصلح للسكن ولا تليق به ومعاونيه، فقرر أن يعيشوا في جنة السماء. **إصحاح ٤**

وفي أدغال ومستنقعات النيل عاشت حيوانات وزواحف الأدغال، كما عاشت المسوخ والتنانين والمردة والأوتان ومسوخ أبي الهول ذات الوجوه البشرية والأجساد الحيوانية، أما الجبتيون (المصريون) فقد عاشوا إلى غرب النيل (مكان الصحراء الغربية الحالية، فقد كانت أرضًا خضراء منذ آلاف السنين)، ومنذ أن انتقل الإله وملائكته إلى جنة السماء بدأت المياه تقل رويدًا رويدًا وجيلا بعد جيل، وبدأ البشر يتصارعون مع

بعضهم على ثمار الأرض ومناطق الصيد والنفوذ، وتحولت العائلات البشرية إلى قبائل متصارعة يأكل بعضها بعضا . **إصحاح ٥**

إذا وجد القلب المفكر فلابد من لسان ينقل فكر القلب للآخرين (اعتقد الفراعنة أن القلب هو مركز التفكير والتدبر)

وفي فقرة أخرى :

وتناسل النيلوس الجبتيون (المصريون) الذين هم من نسل التوائم المزدوجة، وظل لسان النيلوس الجبتيون هو نفسه لسان (لغة) الملأ السماوي . ليشكروا الإله مرتين؛ المرة الأولى لأنهم قادرون بلغتهم الجبتية (المصرية) على الحوار أمام محكمة أوزيريس في الآخرة، والثانية لأن لغتهم تمكنهم من معرفة الأسرار السماوية، كما تمكنهم من الطب والسحر (قوى خارقة لتسخير الطبيعة). **سفر المهد إصحاح ٢**

جبتو جبتو جبتو، صوت من مقطعين ترددده قبيلة جبتو (أصل شعب مصر) المتجهة إلى الشرق (يعني من الصحراء الغربية، فقد كانت خضراء قبل عصر التصحر، وبعد عصر التصحر اتجه المصريون ليسكنوا حول ضفاف النيل)، هذا الصوت كان يستخدمه الجبتيون للتعارف والتمييز فيما بينهم . وكانت هناك بعض القبائل من الهمج حاولت الاستيطان حول ضفاف النيل، ولكن هذه القبائل فنيت عن آخرها، وماتوا وأكلتهم الوحوش والمسوخ، إذ لم يحظوا بتوفيق الإله .

كان (جبتو مصرايم) – يعتبر أبا كل المصريين – زعيم هذه القبيلة، وأكبرهم سنا وأكثرهم خبرة، وكان الجميع ينفذون تعليماته وأوامره . وكان يحذّر الجميع من المسوخ والتنانين في أدغال النيل، وإن أقاموا للراحة والصيد كان يختار تلة عالية، وكان يحذر الجميع من الاقتراب من النيلوس أو المياه الهادرة الحمراء التي صارت بعدها نيلو، فصار اسم نهر النيل العظيم. واختار جبتو الزعيم تلة مرتفعة من الحصي والرمال ليبني عليها مركزًا له وللقبيلة . وفي مركز المعسكر كان الخص المكعب الصغير الذي هو مقر جبتو مصرايم الأكبر والزعيم، وجبتو تعني الأرض المقدسة أو جبتانا في لغتنا الجبتية (المصرية) ومن الاسم الثاني مصرايم كانت مصر عند العبرانيين والساميين والأدوميين. **إصحاح ٣**

وفي الصباح نهض الجميع على شقشقة الطيور وأصوات القردة على الأشجار وأصوات فرس النهر، وكان الفتيان والغلمان قد عادوا من الصيد والالتقاط، خرج جبتو

مصرايم من خصّه (تعتبر المركزية و التدرج والطبقات نظامًا مصريًا أصيلاً ظل حتى الآن) يتوكأ على عصاه، فوجد حشدًا من الفتيان والفتيات والأطفال قدّموا للجد جبتو قطعة من كبد الصيد و قطعة من المخ وبعض البيض، وفيما بعد علمهم جبتو اصطياد الأسماك بالحراب وأكلها .(وظل هناك تقدير كبير للزعيم أو الجد حتى وقتنا هذا) **إصحاح ٤**

مات غلام، فقد لدغته أفعي أثناء الصيد، حفروا له حفرة خارج المعسكر وأجلسوه القرفصاء داخلها وأهالوا عليه التراب والحصى، ووضعوا كمية كبيرة من الصخور والحجارة على قبره حتى لا تأكله الوحوش النابشة. **سفر التثنية إصحاح ٤**

يروي أحد أحفاد جبتو مصرايم بعد وفاته : أن جبتو مصرايم الذي أراه بنور قلبي والذي أراه أحيانا في المنام لابد وأن يكون له وجود آخر باق سرمدي بعد الموت، إن الجسد يفني لأنه من تراب الأرض وطعامها، أما الاخت أو القرين (كا) – المقصود بها الروح التي تنتهي حياة الإنسان بخروجها – وكذلك الروح الإلهية (با) فلا يمكن أن تفنى، لأن كل شئ متصل بعالم السماء لابد وأن يكون سرمديًا وخالدًا. **إصحاح ٥**

كان الجبتيون يطلون الأخصاص بالطمي، وتذكر زعيم القبيلة (حفيد جبتو مصرايم) كيف كانوا يعيشون في الكهوف وفتحاتها تغلق بالدلتا (أو الأبواب التي على شكل مثلث حجري صغير) وكانت إحدى الأمهات تتلو مزمورًا وهي ترضع طفلها، حيث تشكر السماء على النعم التي تأتي منها، ويلقبونها بالأم نوت و بحتحور (اعتقد الفراعنة أن رمز الأمومة هو حتحور إحدى صور السماء، إذ كانوا يؤمنون بتجسد المعنويات في صور حسية ملموسة كالبقرة حتحور رمز الأمومة عندهم والسماء هي أصل ذلك). وبعدها تحرق بعض الأخشاب العطرية على المذبح المقدس لتصل إلى السماء، وتدعو هيلا هيلا هيلا . وكان زوجها – من الفرع الثاني للقبيلة حيث كانت القبيلة تتكون من عائلتين كبيرتين – لما سمعها تدعو أسرع ووضع أغصان الكافور في النار فانتشرت رائحته وصعد دخانه إلى السماء، فسُرّ الجميع وتفاءلوا وشعروا بتأييد الإله لهم، وشكروه على هذا لأنه أراد هذه التثنية بين المجموعتين الجبتيتين (العائلتين الكبيرتين في القبيلة) حتى يستمر نسل جبتو مصرايم المقدس المبارك. **سفر الاستئناس والتدجين إصحاح ٢**

قبل الغروب أخرج زعيم القرية البقرة الرضيعة من الحظيرة و ذبحها عند أطراف البحيرة وجهزها للشواء، وتحلق الجميع (جلسوا على شكل حلقات دائرية) واجمين حول الجذور والموز والشواء، وانفض العشاء سريعا ولكن زوجته رفضت العشاء، واستمرت في النحيب على ابنها الذي اختطفه الرخ (طائر ضخم ورد في الأساطير القديمة) مع فجر اليوم التالي بدأت الزوجة تعاني من آلام في ثدييها، ذلك لأن شاسا الصغيرة (اسم البنت توأم الولد المقتول) زهدت في الرضاعة وفضلت السمك المشوي والموز، فاحتقن ثديا الزوجة، وزادت آلامها مع مشرق الشمس، فأخذت تعتصر ثدييها من شدة الألم، فسال ذلك السائل الأبيض (لبن الأم) وشعرت بالراحة لنزول ذلك السائل الأبيض، وسمعت نعيق البقرة العنيف، وكان الزوج يخرجها لذبحها للتخلص من نعيقها، فنظرت إلى ضرع البقرة فوجدته منتفخا وملتهبا فتذكرت حالتها، وأدركت أن حال البقرة مثله، ففعلت للبقرة مثلما فعلت لنفسها، فربتت على ضرع البقرة التي استسلمت لها، فأخذت تعتصر أخلاف البقرة، فسال ذلك السائل الأبيض، وأشارت إلى كونا (بنتها الصغيرة) التي كانت تحمل وعاءً فخاريًا وملأت أوعية أخرى، واستطاب الجميع طعم ذلك السائل، فصاحت كونا: لابا، فحلبت لها لابانا (اسم المرأة) المزيد، وأطلقوا على هذا السائل الأبيض اسم "لابانا" وعندما نعقت البقرة تم

حلبها في المساء . (من هنا جاءت تسمية اللبن حتي أنه كان من ترانيمهم (أيتها البقرة الأم السماوية حتحور، يا واهبة السائل الأبيض (اللبن) سائل الحياة الثاني (الدم هو سائل الحياة الأول). **إصحاح ٥**

بعد أن اطمأن زعيم القبيلة على الجميع (اسمه جبتو على اسم جده الأكبر جبتو مصرايم) . تأكد لديه شعور عميق بأنه نبو (يعني نبيًا متصلاً بالسماء) وبأن الإله يمده بالحكمة التي يحتويها قلبه، وينطق بها لسانه (تكررت هذه العبارة في المتون المصرية القديمة، فالإله يلهم القلب بالحكمة فيعبر عنها اللسان . وعبر عن الحكمة بالكلمة فانتقلت إلى الفكر العبراني والسامي – الكلمة أو لوجوس- و تذكّر بعض الأوامر الإلهية له في شؤون الحياة (كالتعامل مع الحيوانات) وأن الإله أمره أن يختن كل مولود ذكر من نسل جبتو مصرايم في اليوم الثامن لميلاده (نشأة السبوع الذي نحتفل به الآن للمواليد). ويرى عدد

من كبار المؤرخين (جيمس هنري وجون ويلسون) أن الساميين قد أخذوا عادة الختان من المصريين. **سفر المسوخ وشياطين الظلام إصحاح ١**

بعد وجبة الغروب سمع الجميع عند نار القرية صرخة الاستغاثة من اثنين من أفراد القرية كانا يصطادان الأرانب البرية، ووجدوا أن أحدهما طريح قد مهشته أفعي الكوبرا، فحملوه بسرعة إلى نار القرية (مركزها) إلى زعيم القبيلة الذي كان من وظائفه إلى جانب الزعامة والكهانة أنه طبيب القرية.

كان زعيم القبيلة يقوم بدور الكاهن أيضًا ويتلو ترنيمة يلقن فيها الميت بعد أن دفنوه في حفرة ووضعوا معه في قبره أهم أدواته؛ سكينته الحجرية ورمحه وعصا صيده و وعاء شربه (أي وسر – اسم الميت – أنت الآن في طريق العبور إلى الغرب (مملكة الموتي في العالم الآخر) سوف تشد لك الصراطا (من الكلمات العالمية التي ابتكرها المصريون منذ القدم وانتقلت إلى الساميات واليونانية واللاتينية، ومعناها الصراط المتعارف عليه) بين الجبلين، فإذا كان قلبك مليئا بحب الناس فلن تقع، وسوف يشهد لك معاونو التاسوع (رؤساء الملائكة التسعة) من أكلة الأكباد والقلوب ومحطمي الأدمغة والعظام وساملي العيون وجادعي الأنوف وصالمي الآذان (ملائكة العذاب)، وإن كان قلبك مليئا بكراهية الناس والتاسوع فسوف تسقط، وحين يترع قلبك للميزان أمام تحوت (المقصود محكمة الآخرة) فقل لتحوت وبقية التاسوع والقضاة المبجلين، أنا لم أعتدِ على الأرملة، أنا لم آكل مال اليتيم، أنا لم ألوّث أحجار القربان، ثم أهالوا التراب على الميت ووضعوا كمية من الأحجار فوق القبر خوفا من الوحوش النابشة للقبر. **إصحاح ٤**

من دعاء الفراعنة وصلواتهم لإلهم العظيم أنت رع العظيم .. أنت آتون الحي رب الأبدية .

إنك مشرق وذو بهاء ونورك يملأ الآفاق نقدسك نحن – الجبتيين– فأنت واهب كل شئ نورك هو نور لعيون جميع البشر والدبابات (المخلوقات) وألوانك المبهجة هي التي ترسم البسمة على الوجوه كما أن ألوانك المبهجة هي التي تعطي الورود والبراعم ألوانها أنت يا رع الإله الذي خلق نفسه بنفسه وكان قبل أن يكون شيء

أنت باعث الحياة في الجنات وثمار الأرض يا ربنا العظيم لك المجد في الأعالي.. هيلا هيلا هيلا

بجوار جبتو (زعيم القبيلة) كانت تجلس زوجته بجواره عند النار وتردد تلك الترنيمة، قريبا منهم جلست نفتي البلهاء المقدسة تلك التي وجدوها في أحد كهوف المسوخ وهي كومة من اللحم الأبيض لا تفعل شيئًا سوى النظر إلى السماء، والجميع يطعمونها ويسقونها شاعرين بأنها بركة السماء تحل عليهم لكونها بينهم .**سفر القمح والكوشير إصحاح ١**

دبت الحركة في منف وتراجعت الكلاب خلف الأسوار، وتجمع أهل منف للطعام وعجبوا من أن هاجار (اسم مصري قديم صار هاجر فيما بعد) صارت واحدة منهم بعد ليلة واحدة معهم، وأكلت من طعامهم (كان المصريون بدأوا يتجمعون في مدن صغيرة مثل منف وعين شمس، وبدأت مدينة منف باستكشاف ما حولها من صحراء في منطقة ميدوم، وقد أسروا هاجار وبعض الفتيات من هناك ونقلوهن إلى منف) ورددت الفتيات أسماءهن وهن يشرن إلى أنفسهن حتى تفهم هاجار أن تعرّف نفسها وتشير إلى نفسها وتقول اسمها . **إصحاح ٢**

(كانت العائلات المصرية تتبادل الزيارات بين منف وعين شمس) وفي رحلة استكشاف في النيل بالمراكب النيلية والطوافات، خيل إلى الجبتيين أنهم رأوا بشرًا على أحد ألسنة الشاطئ، فاتجهوا إلى ذلك اللسان فوجئ الجبتيون من أهل عين شمس بعدد كبير من النساء والفتيات وعدد من الغلمان، فصاح الجبتيون بشعارهم جبتو جبتو (كان الجبتيون يتعارفون بينهم بإطلاق اسم قبيلتهم) ففوجئ الجبتيون بهؤلاء الواقفين عند الشاطئ يركعون لهم للتحية. فأمر زعيم الجبتيين بإحضار سلال من الرطب والعنب وتوزيعها عليهم، فقال الزعيم لهم بعد أن استنهضهم جبتو وأشار لنفسه ولرجاله فركعوا من جديد، فاستنهضهم من جديد، فقامت امرأة متينة البنيان فارعة الطول ناعمة البشرة واستنهضت الباقيات فنهضن، فشعر الجبتيون أنها هي الزعيمة، فأشارت لنفسها ومن معها وقالت أتريب (اسم البلدة التي يعيشون فيها، ولازال اسمها حتى الآن) ففهم الجبتيون أن الزعامة في أتريب للمرأة، وسالت الزعيمة بالإشارة عن طريقة صنع الطوافات النيلية، فقام الشباب بتعليم أهل أتريب طريقة صنع الطوافات النيلية، واتخذ الجبتيون من بعض بنات

أتريب زوجات لهن، وغادرن معهم إلى عين شمس وهن يرددن شعار أتريب، وانضمت أتريب لشعب الجبتانا . **إصحاح ٣**

انصرف الجميع وظل الزعيم جبتو يفكر في مصير الشعب بعد أن اتصلت منف بميدوم وعين شمس بأتريب **إصحاح ٤**

وورد في إحدى البرديات القديمة التي كان ينسخها التلاميذ (جمع تلميذ وانتقلت للعبرانية صارت تلمودا وهو كتاب ديني يهودي) أن نيما (إحدي الأمهات) وضعت طفلا ذكرًا، وكان من عادة الجبتيين ختان الذكور منهم في اليوم الثامن لمولده، وتقديم بعض التسوس كقرابين في المعابد شكرا للسماء، وفي اليوم الثامن ختن الطبيب الكاهن دبحن (اسم الطبيب الكاهن) المولود الجديد .

خرجت كونا (اسم إحدى الأمهات) بالطفل من الكهف وجلست على النهر، وكان الطفل يبكي ويتألم، فتطلعت الأم إلى السماء فرأت عشًا للعصافير ومعهم أمهم تطعمهم منقارًا لمنقار وترى العصفورة الأم تفتش في الأعواد الذهبية عن الحبات الذهبية (القمح) فانتبهت الأم الجبتية إلى الحبات الذهبية التي منحها لهم الإله، فمضغتها وأطعمتها للرضيع مثلما تفعل العصفورة مع أولادها، فهدأ الطفل وضحك وضحكت الأم، نبتت بعض الحبات الذهبية في الكهف في العام التالي، زرعت كونا تلك الحبات في الطمي الذي خلفه حابي (النيل) وفي شهر بشنس حصدت كونا الحبات الذهبية، ومن هنا عرفنا نحن الجبتيين الكونا أو الكورنا (انتقلت تلك التسمية إلى اللغات الغربية). (القمح من أهم منجزات الحضارة المصرية، وهي حضارة زراعية تعتمد على الحبوب التي تؤدي إلى المزيد من أعداد البشر، وتؤدي إلى ظهور التنظيمات المركزية للزراعة والري والطرق، وفي النهاية تتبلور الدولة كسلطة عليا وينمو الدين مع هذا الخط من التوتم البسيط إلى الدين القومي العام، ومن هنا فإن المركزية نظام مصري أصيل).

تعوّد الأطفال أن يأكلوا حبوب القمح وأحيانا العجين، وذات مرة كانت طفلة من عين شمس تعبث بالطمي تصنع منه أوعية طعام وشراب تدفعها في النار لتجف، فنظرت إلى العجين ولونه أبيض فدفعته إلى النار فوق الأحجار المحماة، فإذا بالعجين ينتفخ، فأخرجته وأكلت منه الطفلة، وعلّم الإله من خلال هذه الطفلة الجبتيين صناعة البتاو

(الخبز) لجميع المصريين (أصل كلمة بتاو تعني الحياة ثقل، كلمة عيش تعني خبز)**إصحاح٦**

بعد العودة من الغرب (غرب النيل) حيث دفن جبتو (زعيم القرية) وقف الجميع خارج معبد عين شمس يتناولون بحكم عوائدهم شيئا من خبز القربان إشارة إلى أن الميت لا يزال معهم وفيهم، ووقف دبحن كاهن عين شمس الأول يعلن أنه رأى جبار (سفير وحي الإله) في المنام وطلب منهم شعيرة الصيام والإفطار على الكوشير (طعام مصري للإفطار عقب الصيام وهو من حبوب القمح والفول والعدس والحمص مع الثوم والبصل مطهوا على النار، وأخذه اليهود عن المصريين، وفي الوقت الحالي تم استبدال الأرز بالقمح وصار الكشري الأكلة المشهورة) ويكون الصيام من فجر يوم الحادي عشر من بشنس حتى غروب الشمس . وقال أحد الكهنة المعارضين لدبحن لزميل له: هل يحتفل المبجل دبحن بيوم القمح أم بخلو الساحة له بعد موت جبتو (يقصد أن دبحن صار زعيما وحاكما بعد موت جبتو، وهذه إحدى صور الدولة الدينية، إذ كان يصل أحيانا الكهنة للحكم في تاريخ الفراعنة) **سفر المتحدون بالقلب واللسان إصحاح ١**

في اليوم التالي وبعد أن شاع خبر مقتل موبي (أحد الجبتيين) وسحبت جثته إلى المعبد دقت الطبول المقدسة ونودي على أهل عين شمس بالقرون والأبواق، واجتمع الناس في ساحة القرية بالقرب من المعبد والمحكمة والنار المقدسة، وقال المبجل دبحن لأهل عين شمس: علمتم بما حدث (التحقيق في إحدى جرائم القتل) وسوف يقدم تاسوع المحكمة (٩ كهنة هم قضاة المحكمة) ثورًا واحدًا ليلهمهم تحوت "رمز الحكمة"(المقصود هنا أن يعرفوا الحكم الصحيح) حيث إن جثة المقول حاضرة وسوف يقدم المبجلون الرأس والأرجل والجلد والذيل لتحرق على النصب المقدس، ثم يتناولون طعام الشهادة داخل المعبد منفردين ويضربون الميت بما يتبقي من الذيل المحروق، فيصحو الميت ويخبر بمن قتله، والحكم معروف عين بعين ودم بدم وحياة بحياة. وفي المساء شاع أن المبجل دبحن قد غير قائد الحراس وحبسه في المعبد. وفي صباح اليوم التالي دقت الطبول سريعًا واجتمع الناس وظهر المبجل دبحن ليعلن للجميع أن الكهنة بعد ما أكلوا من ثور التقدمة وضربوا الميت ببقايا ذيل الثور فعادت الكا (الكا هي الأخت أو القرين أو رمز الصورة الحية عند المصريين، ويفترض أنها تحوم حول جسد الميت) إلى جسد الميت، فاهتز وبدأ يتحرك، ثم

ضربوه الضربة الثانية فعادت إليه البا (البا هي الروح المفارقة التي تعود إلى الكا والجسد يوم الحساب) فنطق وأخبر الكهنة بمن قتله. وأعلن المبجل دبحن أن حكم الكهنة المبجلين معروف. إن شرع تحوت (الحكم بالشريعة) موتا يموت كونو (المذنب) وتلقى جثته إلى سلالة سوبك (التماسيح) في النيل وبحب الشريعة فإن (أوزير أي عزير عند اليهود وصار أوزوريس فيما بعد إذ برأته الأقدار وصار مؤسسًا لجذور المصرية والوحدة) ابن القاتل كونو يصبح من خدام المعبد وكذلك زوجته. وانشغل الكهنة ومعهم رئيسهم المبجل دبحن بمراسم صرف الكا والبا ومراسم تحنيط و تجهيز القتيل للدفن . ولكن هربت الزوجة من منف وابنها ولجأوا إلى عين شمس. **إصحاح ٢**

علم دان حاكم عين شمس بخبر موت كونو فحزن عندما علم أنه تم إطعامه للتماسيح ففقد اسمه وفقد حياته السماوية (لضياع جثته)، وقال المبجل ساكبو (الكاهن الأول لعين شمس) لدان أن المبجل دبحن يريد أن يفرض سلطانه على المجامع المقدسة والمجمع الذي يضم كهنة الأرضين (أرض الشمال والجنوب وهي الوجهان القبلي والبحري قبل الوحدة المصرية) وفرض سلطانه على كل السلالة الجبتية. وبحسب عوائد هذا الزمان أعيد تعميد وتثبيت بيت دان وبنى بيتًا جديدًا وألحق على بيت دان وذلك في معبد منف، فصارت تانا الأتريبية (زوجة كونو وأم أوزير) زوجة ثانية لدان، وصار أوزير ابنا له بالعماد (التبني) وأخا لست وإيزي (إيزيس فيما بعد) ونفتي. وبعد مراسم الدفن التقى حاكم عين شمس وكاهنها الأكبر مع كاهن منف وحاكمها في نفس الوقت المبجل دبحن، وحدث جدال بينهما بسبب الزيجة والتبني من قبل دان لابن وزوجة كونو، فقال دبحن: ليس من الإنصاف أن نترك كلام المجمع المقدس، هذا خروج عن الأعراف والشرع، فتدخل المبجل ساكبو كاهن منف قائلا: طالما وصل الاتهام لأحد التسعة في مجمعكم (كان المتهم من الكهنة) فالمفروض شرعًا أن يجتمع مجمع عين شمس مع مجمع منف لتحديد الحكم، إننا في منف نعتبركم قد تركتم الماعت (العدالة) فالحكم كأن لم يكن، وإنكم مشاركون أنتم الثمانية (أعضاء المجمع) في قتل كونو .

انحسر الفيضان بشدة في العام العشرين من تأسيس عين شمس، وتوقف حابي (النيل) عن العمل بشادوفه لنقل المياه الحمراء (محملة بالطمي) من أنهار الجنة إلى مصر. أما في منف فالحال مختلف، فكل أسرة لها نارها الخاصة وحظيرتها الخاصة وطعامها الخاص، وتم

تحديد أعداد المقاتلين الصيادين من كل أسرة الذين يجمعون لحظة الاستغاثة عند مصطبة المعبد(شبه حكومة بالمفهوم الحالي) كما أن أوزير استطاع أن يسجل أسماء الشباب والفتيان في كل أسرة على قطع الاستراكا (الخزف والمقصود أنه قام بإحصاء سكاني) وصنع أيضًا أوزير سفينة من خشب السنط وجعل في وسطها أقفاصًا لتخزين ما يجمعونه من صيد أوطيور وثمار، وكان الخير الوفير والرزق الكثير من نصيب أوزير المبارك طاهر القلب، حتى إن التماسيح (سوبك) وكذلك أفراس النهر كانت تنتظر سفينته لأنه كان يطعمها الكثير. وبرع أيضًا في صناعة الشباك والخيّات والشصوص (الفخاخ). **إصحاح ٣**

كانت السيادة في حكا عز (عين شمس) للمبجل دبحن الكاهن، و كانت شعبيته قليلة مقارنة بمنف، ورغم تلقيه نصائح من أهالي عين شمس بأن يجعل لكل أسرة الحرية في الممتلكات الخاصة كالحال في منف، إلا أنه رفض قائلا: إن عين شمس أرض مقدسة، فهي مدينة الكهنة، ستظل موحدة كأسرة واحدة ومائدة واحدة وحظيرة واحدة وجيش موحد، ولكن بعض أسر عين شمس كوّنوا قرية جديدة شمال عين شمس وجنوب أتريب في منطقة المستنقعات عند التقاء منطقة نهر البوصة بأرض النحلة، وأسموها سايس (صان الحجر بمحافظة الشرقية عاصمة الدلتا القديمة) قد قاموا بتجفيف المستنقعات لزراعة القمح والبقول وتقاربوا بشدة مع منف، مما زاد كراهية دبحن لمنف، والجميع كان يعلم أن منف بزعامة دان المتسامح أقوى وأفضل من عين شمس مع حكم المستبد دبحن. وفي إحدى الزيارات بين سايس وأصدقائهم في منف والجميع صار يتحدث عن أحوال عين شمس السيئة، فالمبجل دبحن الكاهن بعيد عن الماعت (الشريعة) والعدالة في توزيع الحبوب والفرائس والثمار، ولا يقوم بشق الترع والقنوات والمصارف وتجفيف المصارف كما يجب، ولا يقوم بتمهيد الطرق، وصار الشباب يسرقون الحبوب من شونة المعبد ويستولون على النذور المقدسة. وذكر نارمر (الملك المشهور موحد القطرين فيما بعد) لأحد أقاربه عن واقعة محاكمة فتى سرق كبشًا من حظيرة النذور، فإذا الكاهن القاضي يسأل الشاب عن السبب لمخالفة الشريعة وقيامه بالسرقة، فأجابه بأنه رأى المبجل دبحن وجنوده يأخذون من النذور لأنفسهم وليس للذبح وتقديم القرابين، بل قدم دبحن كبشًا لواحدة من الفتيات التي تعرف كل الرجال (عاهرة) وفي واقعة أخرى سأل أحد الكهنة فتى من الرعاة لماذا لا تقدم باكورة شياهك (أفضلها) تقربًا للإله كما تقضي الشريعة؟ فإذا الفتى

المهرطق يقول: لو كنت أعرف أين الله لقدمتها حتى لا تضل شياهي في الطريق إلى السماء فيستحوذ عليها الكهنة، وقال آخر: إننا لم نر النار المقدسة تنزل من السماء تأكل القرابين (علامة قبول القربان) وكان سايكا (زعيم سايس) بطلا لأرض النحلة (الوجه البحري) إذ تمكن بدعم السماء له من سحق المتسللين البدو الذين يفدون من الصحراء الشرقية وسيناي (سيناء) للسلب والسرقة .**إصحاح ٥**

عادت بعثة الجبتيين إلى بلاد النوبة بالغنائم والأسرى، واستقبلهم الجميع في ساحة المعبد وسط احتفالات كبيرة، وعرض دان الأسيرات من بلاد النوبة على الجميع، ولكن أوزير رفض إذ كان متعلقًا بإيزي بنت دان (إيزيس وأوزيريس فيما بعد) وأضمر في نفسه الزواج منها، في حين أنه قام بضم عدد من صبية وفتيان النوبة إليه ليكونوا من جنوده، وقام بتدريب بعضهم على اختراعاته واكتشافاته وصناعاته .

في العام الخامس والعشرين على تأسيس عين شمس، وفي اليوم التاسع عشر لشهر بؤونة يوم الاحتفال بجابي (وفاء النيل) أعدت العروس المنحوتة من خشب الجميز المقدس وزينت بالنحاس والذهب والفضة، وامتلأ نيل منف بالطوافات والأرماث (مراكب شراعية) وتقدمت المراكب المزينة والكهنة، وتقدمت إيزي البكر لتدفع العروس الخشبية إلى النيل (لا بد أن تدفع العروس فتاة بكر) وسط فرحة وهتاف الجميع. وفي اليوم العشرين من أبيب تم الزواج بين إيزي وأوزير، وجهزت بعثة صداقة من منف لتجوب الأقاليم المصرية المختلفة، وجهزوا لذلك سفينة صممها أوزير من خشب السنط لها دورين ومقصورة، ووضعوا عليها شعارات الأقاليم المصرية المختلفة، واستغلوا الفيضان واتجهوا مع عدد من كبار المسئولين إلى الأقاليم الشمالية وغيرها، وتلقوا هدايا من كل إقليم ومدينة، وأقيمت الصلوات في المعابد والاحتفالات الكبرى وأهدوا للأقاليم التي زاروها هدايا مميزة من منف. وفي منديس أقام أهلها احتفال الإكليل الخاص بالزواج وطقوس الزواج المقدس في معبدهم، على الرغم من القيام بتلك الطقوس والأكاليل في معبد منف. والتقي هناك أوزير وبعثة منف بمجموعة من كبار تجار ببلوس وفينيقيا (لبنان) من عبدة عشتاروت وأدونيس (آلهة قديمة) وأن هؤلاء التجار تعودوا التجارة مع المدن المصرية كمنديس وتانيس، ويقايضون بزيت الزيتون وأخشاب الأرز والسيوف والأدوات النحاسية، الكتان المصري والقمح والشعير وبضائع أخرى، وذهبوا لمرفأ منديس، وأعجب

أوزير جدا بالسفن الفينيقية، وأصر على تفقدها ليتعلم كيفية صناعتها، وبدأ بتدوين بعض البيانات على أوراق البردي المقدسة، فأعجب بها الفينيقيون، وعرض البلوسيون (مدينة جبيل في لبنان) مبادلة إحدى سفنهم الضخمة من خشب الأرز بعدد من أدراج البردي والأحبار الحمراء والسوداء وعروق الذهب والأليكتروم (سبيكة من الذهب والفضة تستخرج من سيناء والصحراء الشرقية) فوافق المصريون على الفور، وعرض البلوسيون على أوزير وإيزي زيارة بلدهم ببلوس ليكونا أول اثنين من الأرض المقدسة (مصر) تطأ قدمهما أرض فينيقيا. وانطلقت سفينة أوزير بعد ما تم تجهيزها بالأطعمة اللازمة والمؤن ومعها ثلاث سفن فينيقية إلى ببلوس، وعبروا منطقة بحيرة البجع (بحيرة المنزلة، إذ كان يعيش فيها قديما عدد كبير من الأوز والطيور المائية) وقد جمعوا بعضها في أقفاص ليحصلوا على بيضها وسط اندهاش الفينيقين، إذ إنهم لا يعلمون كيفية تربية الطيور، وأخذ بيضها فاعتبر المصريون بذلك أن دينهم أفضل من آلهة الفينيقيين، وكان الفينيقيون مندهشين من منظر التماسيح وأفراس النهر وهي مستلقية على رمال الجزر تستمع بالشمس . **سفر رسل من الأرض المقدسة (مصر) إصحاح ١**

نزل الجميع في آخر جزيرة مصرية تطل على بحيرة البجع، ولونت أشعة الشمس الذهبية التي أرسلها الإله رع ثوب إيزي المصنوع من كتان تانيس عندما نزلت من السفينة، فانحنى لها الفينيقون والبلوسيون اعتقادًا منهم أنها صورة لربتهم عشتار (ربة الخصوبة) وحوّم في سماء الجزيرة تاسوع الملائكة المصريين على هيئة نسور ذهبية . وأشعلت النار على الجزيرة، وبنى الجنود خصًا لإيزيس وأوزيريس، واكتشفا أن الشاطئ الجنوبي من الجزيرة يطل على مياه النيل الحمراء، في حين أن الشاطئ الشمالي يطل على المياه الزرقاء الصافية للبحر الأخضر (البحر المتوسط) واستمرت الرحلة إلى فينيقيا، وخلالها اندهش الجبتيون عندما رأوا الدلافين وهي تتقافز وتضحك كأنها تحيي السفن. وفي برمهات من التقوىم المصري توفي أحد الأمراء في فينيقيا، فعلم أوزير وسأل الفينيقيين عن مراسم الدفن، فقالوا نحفظها في كهف في الجبل ونسدها بالصخور حتى لا تهاجمها الحيوانات ودببة الجبل، وذلك أنه طالما أن الهيكل العظمي سليم ستبقي روح الميت سعيدة تحوم بحرية حول المستنقعات والخلجان والأنهار، فرد أوزير أن الإله رع وملائكته التسعة قد ضمنوا للميت مكانا في جنتهم السماوية، بشرط الاحتفاظ بالجسد كله سليمًا

وليس مجرد الهيكل، حتى تستطيع الكا وهي قرين الميت في الصورة أن تتعرف على البا روحه النورانية الإلهية فتعود إليه، فيقوم من الأموات ويصعد جنات السماء، ويعيش فيها خالدًا أبدًا لا يموت. ولذلك نقوم بتحنيط الجسد، وطلب الأمراء الفينيقيون من أوزير المقدس أن يقوم بإجراءات التحنيط والدفن مثل الطقوس المصرية التي ستشيع فيما بعد في فينيقيا. **إصحاح ٣**

كان ست ابنًا لدان حاكم منف سيئًا وشريرًا، ورفض أن يحل محل أخيه أوزير في متابعة أعمال الزراعة والري والفيضان والطرق، وأساء معاملة جاريته النوبية، وافتعل مشكلات مع بعض النوبيين. وذات يوم وجد دان ابنته نفتي وأمها تونا تبكيان، فلما سأل عن السبب حكت له نفتي أن ست كذب عليها وخدعها عندما طلب منها أن تركب معه طوافته في النيل ليصطادا معا الأوز، ولكنه محتال فطرحها أرضًا، فتوسلت له وبكت، ولكنه لم يستمع لها، وقالت إنها مستعدة أن تكون زوجة له ويعلن زواجهما في المعبد، إلا أنه اغتصبها . فرفع دان شكوى للمجمع المقدس ضده مطالبا بأن ست يتزوج نفتي، إلا أنه هرب ولجأ إلى عصابات الرمال الحمراء في شرق النيل. وفي فجر أحد الأيام نبحت الكلاب وانتبه الجميع على محاولة سرقة لخزيرة نذور المعبد من مجموعة من لصوص البدو، وتم صد الهجوم وتم إتلاف طوافاتهم وأسر بعضهم وقيدوا بالسلاسل ليعملوا كخدام للمعبد، وبدأ الناس يتناقلون أخبارًا عن علاقة شريرة تجمع بين ست والمبجل دبحن وجيجا (أحد زعماء الأشرار في عين شمس) وحزن دان كثيرا إذ سرت شائعة أن ست كان قائدهم، وتذكر قصة رواها أحد الكهنة في المعبد عن نبي من الغابرين وكان مشهورًا بالحكمة وحسن الخلق، ولكنه أنجب ابنا سئ الخلق فلم يرض عنه الإله، فأرسل عليه أفعى فلدغته فمات. ومات دبحن و لم يعرف مصدر قتل بعد، وترددت شائعات كثيرة عن ذلك واشتكت من ذلك إحدى السيدات لأخرى وقالت: عجبا لهؤلاء المبجلين إنهم يهوون تأمل أجساد النساء العاريات، وقال بعض الناس إنه انتقام السماء من دبحن. حضرت الوفود للعزاء وأبرزها وفد منف برئاسة دان، وقاموا بالعزاء لمدة يومين، وفي اليوم الثالث اجتمع كهنة عين شمس ومنف برئاسة باورعا الذي صار كاهنا أكبر لمجمع الأرضين، وحضر الكهنة وقادة الجنود وقادة الحراس، وقرر المجتمعون أن يكون لمنف وعين شمس مجمع مقدس واحد، وأن تتحدا معا تحت قيادة دان، وأن يعين له نائبا في عين شمس،

واختيار أوزير ابن دان وريثا شرعيا له، وأن يفتح الباب أمام جميع قرى الجبتيين للاتحاد معا ليعيش جميع الجبتيين كقبيلة واحدة . **إصحاح ٤**

طاف أوزير وزوجته إيزي مدن ساحل فينيقيا حتى وصلا بيروتا (بيروت) وزارا معبدها الشهير للإله إل وزوجته إيلات، كذلك صور وصيدا وأرواد، وفي معبد تموز في أرواد (بالقرب من طرابلس الحالية) أغمي على إيزي حيث زرات الكهنة يخنقون الأطفال حتى الموت، ورأت الكهنة يحرقون جثث الأطفال على مذابح المعبد. وحضر الجميع حفل الاعتدال الربيعي في منتصف شهر نيسان في ببلوس، ووفدت جموع غفيرة من مختلف المدن الفينيقية لحضور الاحتفالات المقدسة، نظر أوزير والوفد المصري باندهاش إلى الفينيقيين والببلوسيين وهم يؤذون أنفسهم كمظهر من مظاهر التقوى والخضوع لرغبات الآلهة، ففي معبد عشتار كانت العذارى يقدمن شعورهن لتحرق على الأنصاب، بل كان بعضهن يضحين ببكارتهن للعبيد والأسرى من أجل عشتار (ذكر في العهد القديم ملوك أول –أرميا –هوشع) وفي معبد الإلهة إيلات والتي يطلق عليها أحيانا عشيرة يوجد مكان للبغاء المقدس تضحية للإلهة الأم، وكذلك تتقبل الآلهة غدائر البنات كما تتقبل حصي الذكور من الشباب خصوصا الطامعين في وظائف الكهنوت . وفي نهاية الاحتفال عند معبد أدونيس تقدم الكاهن الأكبر إلى قبر ركزي لأدونيس (أحد الآلهة) وأعلن عن قيام أدونيس من قبره، وأعلن كذلك عن وعد أدونيس بأن الحضور جميعا سوف يقومون من الأموات ليحيوا حياة ثانية مثلما حدث لأدونيس، وفي النهاية بلل الكهنة والشمامسة شفاه الحضور بخمر المعبد المعتقة. **إصحاح ٥**

وفي اليوم التالي من انتقال أوزير إلى عين شمس أعدت حملة برية ضخمة لتطهير دروب الصحراء الشرقية من عصابات البدو (بزعامة ست) وخرج في الحملة كل رؤساء الجنود والقادة الكبار، بل وشاركت بعض المحاربات من أتريب اللاتي اشتهرن بضرب السهام والنبال ودقة الرمي، وبعدها تم أسر ست والانتصار في المعركة، وحزن أوزير على ست بشدة وعالجه بنفسه في بيت الشفاء الملحق بالمعبد الكبير في عين شمس . ورفضت نفتي أن يتزوجها ست بعد أن اغتصبها، إذ لا يصح الزواج المقدس بعد الاغتصاب؛ لأن الاغتصاب (في الشريعة) يدنس الزواج والإكليل المقدس، وأيدها في رفضها مجمع الكهنة المقدسين. **سفر أوزيريس إصحاح ١**

بعدما استتب الملك لأوزير وازدادت رحلات التجارة مع فينيقيا وحتي النوبة، وأقام دارًا لضيافة التجار بجوار مرفأ عين شمس، وأمر بتوسعات في بيت الشفاء بالمعبد، وزاد عدد الكهنة والأطباء المعالجين، وقام بتوسعة محكمة عين شمس وتجديدها مع أول أيام شهر توت (نسبة إلى تحوت) أمر باستخراج جثث أجداده المؤسسين للتحنيط وإقامة الطقوس الدينية اللائقة، وحضر الحفل الجنائزي الضخم وفود الأقاليم والمقاطعات المختلفة، و بدأت مراسم الدفن في المقبرة الحجرية الجديدة، وباشتراك جميع الكهنة والأمراء والقادة والوجهاء، تبدأ المراسم بمراسم فتح الفم ثم مراسم الخلود في التابوت ومراسم تعريف الكا والبا (الروح) بالجثة المحنطة، وتم حمل التابوت على زحافتين تجرهما الثيران، وفي المقبرة الحجرية قام باورعا (الكاهن الأكبر) بتلقين الميت قبل أن يوارى في القبر (الشهادة لكي يثبت عندما يواجه محكمة الموت في الآخرة) فقال نشد لك الصراطا (انتقلت إلى الساميات بمفهومها المتعارف عليه) بين الجبلين في الغرب (مملكة الموتي تقع إلى غرب النيل) فلو كان قلبك مليئا بحب الناس سيكون مصيرك بارادويس بيت النعمة (انتقلت بالعربية إلى الفردوس وإلى اللغات الغربية بمعني الجنة) ولو كان قلبك بعيدا عن حب الناس فسوف يكون مصيرك جي هنوم التي هي وادي العذاب (صارت جهنم فيما بعد) قل للمحكمة المقدسة إنك تستحق الجنة وأن تعيش فيها خالدا أبدًا . وترددت روايات وأقاويل كثيرة عن معجزات وكرامات حدثت في هذا المجلس، حيث وجد بعضهم بارد الجسد كأنه ميت منذ ساعات قليلة، وبعضهم لازالت آثار جراحه ظاهرة، ورأى بعض الناس لمعة الكا وبرقة البا. قالت نيما (عداءة المراسلات) لهاجال زعيمة أتريب إن أوزير رجل صالح بل إن نور الإله رع يشع من وجهه، حتى ابنه الصغير فإنها رأت وجهه يشع نورًا وكأن أجنحة ملائكة صغيرة على كتفيه. **إصحاح ٤**

يتحدث باورعا الكاهن لينصح حورس في حضور أمه إيزيس وعلى انفراد؛ لأنه يعلم أن حورس يعتكف بعد قداس المساء محذرًا إياه من عمه ست الشرير وأعوانه، و بالذات الكاهن الطبيب سسنبنف الذي يأكل الخنزير وهو محرم على الأكليروس، ولا يتبع الشريعة الإلهية ويدخل المعبد والهيكل و قدس الأقداس وتفوح من فمه رائحة السمك، حتى أنه حوكم ذات مرة لاستخدام طبه وسحره لأغراض شريرة ومنفعة خاصة له وليست لأغراض دينية مقدسة كشفاء المرضي.

إلى آخر الروايات والقصص عن الصراع المعروف بين حورس وست عمه الشرير، وانتهي بفوز حورس الذي من سلالته مينا نارمر موحد القطرين ومثبت الوحدة بين أقاليم الشمال والجنوب حتى وقتنا هذا.

يعتبر أغلب العلماء والمؤرخين أن الديانة المصرية القديمة قائمة على تعدد الآلهة تحت زعامة إله واحد، وهو ما ورد في الترجمة الأصلية للجبتانا، ولكن بعضهم يقول بأنه إلـــه واحد، والآلهة الباقون هم صور لنعم الإله الواحد، فاخترت الإشارة للتوحيد، وأن بـــاقي الآلهة هي صور له، وذلك تسهيلا وليس إهمالا تاريخيًا.

obeikan.com

obeikan.com

اليهودية

اللغة العبرية من أمهات اللغات السامية، كانت شائعة قبل نشوء بنى إسرائيل وظهورهم فى العالم. حيث إنه من الخطأ الاعتقاد بان العبرانية هي اليهودية، فالحقيقة التاريخية تؤكد أن اللغة العبرانية تكلمها الكنعانيون (من العرب البائدة) قبل اليهود بفترات طويلة. فكانت هناك جماعات جنوب الهلال الخصيب وجماعة في المنطقة المجدبة (فلسطين الحالية) قبل أن يستقر الفلسطينيون في مكانهم الحالي (معني الفلسطينيين في اللغة مشتق من الذين يأتون من البحر) فتكلم الكنعانيون اللغة العبرانية قبل القبائل التي أتت من أور جنوب العراق (اليهود). إذ كانت لغة أهل فلسطين هى الكنعانية. إلى أن ظهر تأثير إحدى اللهجات الكنعانية وهى الآرامية، فأخذت اللهجات الأخرى (العبرية والكنعانية الأصلية) تضمحل مع التغيرات السياسية، إلى أن أصبحت أغلب بطون (قبائل) فلسطين وسوريا والعراق وطور سيناء تتكلم باللهجات الآرامية. ثم أخذت هذه اللهجات فى القرون الأولى بعد الميلاد، تتدهور تدريجياً فى أطراف الجزيرة العربية، وتنكمش وتتضاءل أمام اللغة العربية، التى كانت فى ذلك الحين تمتد وتنتشر بسرعة .

يعنى أن الجماعات اليهودية التى نزحت على فترات متباعدة من جنوب العراق، فاستقرت قديماً فى منطقة فلسطين وصارت مع الوقت تتكلم اللغة السائدة فى مستقرهم الجديد، واختارت لهجةً خاصةً هى (العبرية) التى هى واحدة من اللهجات الجارية على ألسنة الناس فى ذاك الزمان، كالآرامية التى كانت أكثر انتشاراً بين يهود. ولذلك، فإن "السيد المسيح" الذى كان واحداً من اليهود، وكذلك أمه "مريم العذراء" كانا يتكلمان بالآرامية التى سوف تتطور إلى صيغة أحدث هى اللغة السريانية، المستمرة إلى اليوم ولا يزال الناسُ يتكلمون بها في بلدة معلولة المعاصرة (بسوريا)، والعجيب هنا أننا لا نعرف اللغة التى كانت تتكلمها هذه الجماعات النازحة من بلدة "أور" فى جنوب العراق ليس بمقدور أحد أن يؤكّد بيقين. ولكن ما يهمنا هنا، هو أن الارتباط بين العبرية باعتبارها(لغةً) واليهودية (باعتبارها ديانة) ليس صحيحا ومن غير الصائب أن نُطابق بين "عبرى ويهودى" باعتبارهما شيئاً واحداً. فما العبرية إلا لهجةٌ كنعانية تطوَّرت فصارت لاحقاً مستقلة، مثلما تطورت بقية لهجات اللغة الكنعانية فأصبحت لغات مستقلة ذات انتشار

أوسع، حتى بين اليهود أنفسهم، ومنهم السيد المسيح والذين كانوا حوله من يهـــود ذاك الزمان.

وبالعودة لألف سنة قبل الميلاد حسب التوراة فيقوم داود الملك (أوصاف مختلفـــة عن داود وسليمان في عقيدة المسلمين) ويخترع الدروع الحديدية التي تصد هجوم الأعداء يقاتل الكنعانيين والفلسطينيين ويستطيع أن يوحد هذه القبائل تحت قيادته في مملكة واحدة (طبقا للتراث اليهودي ولا يؤيد ذلك أي شواهد تاريخية أو أثرية)، أما المراجع التاريخيـــة فتصف مملكة داود أنها كانت تقع على مساحة حوالي ٦ كم مربع، واعتـــبرت مســـاحة إمبراطورية ابنه ووريثه الملك سليمان ١٠ كيلو متر مربع(بناء علـــى دراســـات يهوديـــة متعددة) وتعددت الروايات والأساطير اليهودية عن الهيكل (شبه معبد وهو دار العبادة في الديانات الشرقية مثل الصابئة) والإمبراطوريات اليهودية القديمة، ولكن الحقيقة الثابتـــة أن هذه الممالك كانت فقيرة ومجدبة وبلا زراعة ولا ثروات وفي طريـــق التجـــارة (العبـــور ولذلك سموا بالعبرانيين لتنقلهم بحثا عن الرزق) لذلك لم تقم حضارة هناك أبدا. وكانت محاطة بحضارات عظيمة كسومر وبابل وآشور في العراق والفينيقين(لبنـــان) والفراعنـــة وغيرهم، حيث إن الحضارات القديمة مرتبطة بالأنهار والزراعة (حتى نهـــر الأردن كانـــت وظيفته دينية فقط وهي التعميد، فلم يكن له فيضان تنتج عنه زراعة أو محاصـــيل)وتتوالى الروايات عن هذه المملكة اليهودية وفي آخر عهدها تعاني الانهيار ويعانون مـــن اليـــأس والمذلة في انتظار المشيح (المسيا) أي المخلص الممسوح بالزيت المقدس .

وللدلالة الكبرى على أن اليهودية لم تبدأ كديانة وإنما كجماعة (إثنيـــة) عرقيـــة، كانت المملكة تحوي عناصر غير يهودية، إذ ذكر العهدُ القديم أن "أوريا الحثّـــى" الـــذى أنجب داودُ سليمانَ من زوجته، كان جندياً فى جيش داود! وكان يسكن فى بيت مجـــاور لبيت الملك! ولذلك رأى داود "امرأة أوريا" من فوق سطح بيته، فاشتهاها، فكـــان مـــا كان من قصة اغتيال داود للزوج (الذى هو من: الحيثّيين) ثم ضمّ زوجته إلى حريم داود، وإنجابها سليمان. إلى آخر الوقائع المذكورة فى العهد القديم و قصص أخرى غير أخلاقيـــة كثيرة وردت في التوراة عن أوامر من داود لسليمان بقتل إخوته لأنهم يتحرشون بزوجاته ويقيمون معهن علاقات غير شرعية وبمساعدة أحد قادته، ثم يأمر داود سليمان بالتخلص

منه هو أيضًا إلى انقسمت المملكة وانهارت فيما بعد. فالموضوع سياسي بحت ولكن تم استحضار الجانب الديني ليعيد قراءة التاريخ وتوظيفه لصالح اليهود.

ومن هنا نجد أن هناك ٣ مداخل أو أدوات لتفسير التراث اليهودي؛ وهي:

١ – العقيدة الحلولية: يعني الله يحل في الإنسان .

٢– علمانية: تصور أن الحقائق موجودة في العالم وليست خارجه .

٣– وظيفية تقوم في المجتمعات بدور أعضاء المجتمع مثل (الدعارة والربا) .

اندمج الفلسطينيون بالكنعانيين وظلت الحضارة الكنعانية مسيطرة في فلسطين، ورغم أن الفلسطينيين أخضعوا أنحاء كثيرة من البلاد لسيطرتهم فقد بقيت القدس بأيدي الكنعانيين إلى أن دخلها داود حوالي ١٠٠٠ ق م دون أن ينتزع أهلها اليبوسيين منها (بطن من بطون العرب الأوائل وترعرعوا في الجزيرة العربية وهاجروا إلى فلسطين مع القبائل المهاجرة، وهم أول من وضع لبنة في القدس حوالي ٣٠٠٠ ق م) وفي القرن السادس ق م كان الصراع بين إمبراطوريتي مصر والعراق للسيطرة على المناطق الواقعة بينهما ومن ضمنها ممالك اليهود (يهوذا والسامرة) فشملتها معارك حربية كثيرة. في ٧٢٢ ق م غزا سرجون (أحد الملوك الآشوريين) السامرة واستمرت مملكة يهوذا (عاصمتها أورشليم) بعدها بحوالي ١٥٠ سنة بفضل وجود الكهنة والهيكل، ومع تعاقب الحكام والحروب تعرضوا للسبي أكثر من مرة حتى عهد الملك نبوخذ نصر عام ٥٨٦ ق م، فقام بسبي اليهود و بتدمير أورشليم تماما .

كانت نهاية المدينة قد اقتربت، ففي السنة الحادية عشر لصدقيا في ٥٨٦ ق م في الشهر الرابع وفي اليوم التاسع من الشهر ثغرت المدينة (إرميا ٣٩: ١ و٢) بعد أن أرهقها الحصار والمجاعة، ويبدو أن الملك صدقيا حاول الهرب فأمسكه جيش الكلدانيين وأخذوه أسيرًا وأحضروه إلى نبوخذ نصر في ربلة، فقتل ملك بابل بني صدقيا أمام عينيه ثم قلعوا عيني صدقيا و قيدوه بسلسلتين من نحاس و جاؤوا به إلى بابل (٢مل ٢٥: ٤–٧)، ولم ينج هذه المرة لا المدينة ولا الهيكل ولا القصر، فقد أحرق نبوزرادان (القائد) بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار (٢مل٢٥ :٩). كما هدمت الأسوار ونقل ما بقي من كنوز الهيكل إلى بابل، وعمت مشاعر الأسى والعار اليهود، ويعبر عن ذلك سفر مراثي أرميا (أتم الرب غيظه، سكب حمو غضبه وأشعل نارًا في صهيون (مملكة

يهوذا) فأكلت أسسها، لم تصدق ملوك الأرض وكل سكان المسكونة أن العدو والمبغض يدخلان أبواب أورشليم (مراثي ٤:١١ و١٢).

(ويل لنا لأننا أخطأنا من أجل هذا حزن قلبنا، من أجل هذا أظلمت عيوننا، من أجل جبل صهيون الخرب الثعالب ماشية فيه (مراثي ٥:١٦ –١٨) وقدر بعض المؤرخين أعداد السبي في مراحله المختلفة بحوالي ٧٠ ألف شخص حوالي نصف عدد السكان في أورشليم، إلى أن سمح لهم كورش (ملك فارسي قضى على بابل) بالعودة إلى بلادهم سنة ٥٣٨ ق م (وكانوا لا يريدون العودة لأن بابل أفضل من بلادهم المقفرة حسب بعض الروايات) فقرر (بحيلة ذكية لإعادة توزيع ديمغرافي لمنطقة الهلال الخصيب بشكل عام) إعادة بناء الهيكل ٥٣٦ ق م، فقد كان كورش الفأس التي سيسحق بها يهوه (الله) بابل (أرميا ٥١ :٢٠)، وقد تنبأ أشعياء بذلك (اش ٤٤ :٢٦ –٢٨) وقد أعاد كورش المسبيين (٢ اخ ٣٦ :٢٢ و٢٣)(عز ١ :١–٤) ونجد أخبارًا مفصلة عن العودة في سفري عزرا ونحميا وفي نبوتي حجي وزكريا، وعاد حوالي ٤٢ألفًا من المسبيين من بابل وبنوا المذبح ووضعوا أساسات الهيكل، ولكن العمل توقف لمقاومة السامريين، إذ لم يسمح لهم بالبناء، ولكن النبيين حجي وزكريا تدخلا وحثّا الشعب على استئناف العمل(حجي ٢ :٩) وانتهي العمل في سنة ٥١٥ ق م واحتفلوا بالفصح فيه (عز ٦ :١٥–١٨). وفي عام ٤٥٨ ق م شرع عزرا الكاتب في العودة إلى أورشليم ومعه ١٨٠٠ شخص من المسبيين، ووجد أن اليهود الراجعين قد تحالفوا وتزاوجوا مع شعوب الأرض وأصبحوا في خطر فقدان مميزاتهم القومية بالاختلاط بالوثنيين (عز ٩) ولكن أمكن تجنب ذلك الخطر نتيجة لجهوده وجهود نحميا (الملك) وأقوال ملاخي النبي، إلى أن جدد نحميا أسوار أورشليم، ودعا عزرا الشعب للعمل حتى أصبحت صالحة للسكن ٤٤٥ ق م فيها رغم كل عداء وافتراء من جانب السامريين (هكذا الرواية طبقا للتوراة العبرانية) وجمع نحميا وعزرا الشعب ليستمع الشعب إلى الشريعة حيث قرأوها وفسروها للشعب وقطعوا عهدا أن يحفظوا ناموس موسى وألا يتزاوجوا مع الوثنيين، وأن يحفظوا السبت، وأن يدفعوا ثلث الشاقل كل سنة لخدمة الهيكل، وأن يقدموا الباكورات والعشور (نح ١٠:٢٨–٣٩).

أثرت بشدة فترة نحميا وعزرا فأصبحت تعاليم موسى أساس الحياة القومية كما تحددت الأسفار المقدسة، ونمت صياغة المجتمع اليهودي على الصورة التي لم يطرأ عليها تغيير جذري في القرون التالية (يقصد ظهور المسيح) فقد رأى ذلك القرن تمهيدًا لما عرف بعد بالفريسيين والصدوقيين وجماعة الربيين (المعلميين) وتحدد موقف اليهود من الأمم ودفع بالكهنوت إلى مركز السلطة العليا كما بدا الانفصال السامري، ولا يمكن المبالغة في تقدير الأثر السلبي للسبي، حيث به انتهي تاريخ إسرائيل (مملكة) وبدأ تاريخ اليهود (كديانة وقومية)، فوجودهم داخل ذلك الخضم من الأمم الوثنية جعل الجالية اليهودية تبتعد عن كل المحيطين بها وتلتصق بإيمان آبائهم في إله إبراهيم، ولأنهم كانوا معرضين دومًا للسخرية والازدراء والاحتقار من الممالك العظيمة حولهم كونوا دائرة منغلقة حول أنفسهم واتخذوا عادة الانعزال، فبعد أن أصبحوا بلا وطن وبلا نظام طقسي ولا أي أساس مادي لحياتهم كشعب تعلموا أن يقدروا تراثهم، فأقاموا هويتهم الوطنية على أساس ديانتهم، وتطور نظام اجتماعي وديني وبشّر الأنبياء بالعودة (ليس ليهوذا فقط بل ولإسرائيل (السامرة) أيضًا، فستعود الكروم للازدهار فوق جبل السامرة كما في ويان يهوذا، بل إن أرميا تنبأ بمدة السبي عندما أعلن أن تلك الشعوب ستخدم ملك بابل سبعين سنة (أرميا ٢٥ :١٢، ٢٩: ١٠).

لليهود كتب مقدسة، وهي الكتاب المقدس بعهده القديم والتلمود (يعني تعاليم الحاخامات لتلاميذهم ولا تعتبر وحيًا) وأهمها التناخ (ت ن خ) توراة ويعني شريعة – نبيئيمو يعني أنبياء – ختوبيم أو كتوبيم وتعني كتابة، فالمرادف لها هو الكتابة النبوية للشرائع. فالأصل أن الله أعطى موسى الألواح فخصص سبط لاوي الذي هو منه لدراستها وتعليمها للناس. فغير بنو إسرائيل التوراة وكتابتها تمت في السبي البابلي على يد عزرا الكاتب من منظور رفع الروح المعنوية لليهود بحلم العودة ومن حقدهم وغلهم على الحضارات والأمم الأخرى. فالتوراة تصنع أصلاً لكل بلد وكل جماعة، وتعيد صياغة العالم بأن تزعم أصولا معينة للأشياء، وخطورة أن تتسلم الجماعات الإنسانية أصولها وتاريخها من اليهود بلا مواجهات فكرية أو حضارية أو مراجعة تاريخية في هذا الزمان، إذ كان اليهود يعدون على هامش الأمم، ولا أدلة تاريخية أو أثرية على روايات عزرا. وكتبت التوراة على ٣ أسس :

١-التوحيد المنقوص :توحيد الرب ولكن اعتباره لهم فقط بشكل خاص دون باقي الأمم .

٢-شريعة الرب لهم فقط (التوراة) إذ لا تبشير ولا كرازة في اليهودية.

٣-النبي المنتظر الذي أخبر بمجيئه موسى سوف يأتي من بني إسرائيل وليس من بني إسماعيل.

والحقيقة أن التوراة المشهورة بين أيدي الناس ليست الوحيدة، إذ إن الطائفة السامرية لها توراتها الخاصة، وكذلك وجدت توراة أسينية تعني أنقياء القلوب أو الأتقياء (السامرية والأسينية أرقى وأفضل بكثير من التوراة العبرانية المشهورة)، وكتبت التوراة باللغة العبرانية ولكنها لم تشتهر و لم تعرف إلا بعد الترجمة السبعينية – فلولاها ما عرفت التوراة ولا اليهودية ولا وصلت إلى الناس وما حدثت كل مشكلات العالم الحالية – إذ جمع بطليموس ٧٠ حبرًا من اليهود في الإسكندرية لتترجم إلى اليونانية . وكما ظهر في الفصل السابق أن التوراة (الأسفار الخمسة وآتي ذكره في أسفار الأنبياء) لا تتحدث عن الآخرة، ولكن يظهر ذلك في التوراة السامرية، حيث تحدثت عن اليوم الآخر في (تث ٣٢ :٣٤-٣٦) في النص السامري (تث ٣٢ :٣٥- ٣٦) (إلى يوم الانتقام والمكافأة وقت تزل أقدامهم إذ قريب يوم تعنتهم وتسرع المستعدات إليهم، إذ يدين الله قومه وعن عبيده يصفح، إذ يرى إن زالت اليد وانقرض المحاصر والمطلق).

ومن أوجه الاختلاف الواضحة الجوهرية أيضًا في التوراة العبرانية (تك ١٧ :١) (ظهر الرب لإبرام) في السامرية (تجلي ملاك الله لإبرام). (تك ١٧ :٢٢) (فلما فرغ عن الكلام صعد الله عن إبراهيم) في التوراة السامرية (ملاك الله). وكذلك آخر نفس السفر إصحاح ١٨ نفس المعني. وورد في التوراة العبرانية (تك٢٢ :٨-١٣) قصة ذبح إبراهيم لابنه إسحق وفداء الله له، وهذا يناقض عقيدة المسلمين التي ترى أن الابن هو إسماعيل. وفي (تك ٣٢ :٢٨-٣١) أفاد النص العبراني أن يعقوب نظر لله وجهًا لوجه، أما في التوراة السامرية فإنه (إذ راست (حاربت) مع الملائكة وقدرت، ودعا يعقوب اسم الموضع حضرة القادر إذ نظرت الملائكة وجها لوجه وخلصت نفسي) والحقيقة أن هذا الإصحاح ٣٢ في سفر التكوين من أكثر أسفار الكتاب تعقيدًا وإثارة للجدل؛ لأن في الآيات من

الآية ٢٠ وحتي نهاية الإصحاح لا يمكن تفسير النص كما هو دون تأويل في الآية ٢٤ قال (فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر) وسياق الآيات قبلها وبعدها توضح أنه ليس إنسانًا بأي حال من الأحوال، وفسر البعض ذلك بأنه تجلى (ظهور مسياني) للرب، وعند المسيحيين أنه تجلى للسيد المسيح في صورة إنسان وعند بعض المفسرين نفس المعنى وهو الرب، إذ كان إطلاق لفظ إنسان عندهم يعني الرب متجسدًا كما ظهر لإبراهيم في تكوين ١٨ . وبعضهم قال إنه ملاك تجسد ليعقوب، وذهب البعض إلى الاستدلال بترجمة من لغات أخرى، فترجموا جاهد بدلاً من صارع، ليكون النص أن يعقوب جاهد مع الله والملائكة، أما التفسير الأقرب للصحة والأكثر منطقا وذلك بالعودة إلى النص الأصلي وجد أن (صارع) لا يشترط فيها العراك بالأيدي، وإنما هي بمعني طاف أو حلق مثل البخار (نزول شئ من السماء كغبار وضباب) وأيضًا صراع ونضال وأيضًا تشبث، وأصل (ضرب فخد) أي لمسها، وقد أتت في الكتاب المقدس ١٥١ مرة بمعنى لمس وبمعني ضرب باليد مرة واحدة فصار المعنى الأقرب أن الصراع ليس اشتباكا بالأيدي أو عراكا، إنما هو صراع روحي بدون شك (ويؤيد ذلك الرأي أن نضال في الصلاة أو العبادة تؤخذ بمعني صراع روحي) وفسر البعض (إنسان) أنه تجسد الرب أو ملاك الرب عند الذين لا يؤمنون بالحلول من المسلمين. والأقرب أنه الملاك كما في قضاة (١٣:١٨-٢٣) وفي أشعياء (٩:٦) ومن هنا يتضح أن الذي صارع يعقوب هو الرب (أو ملاك الرب) حيث تم تغيير اسمه من يعقوب إلى إسرائيل ولا يقدر على ذلك إلا الرب (أو ملاك موكل من الرب)وإصرار يعقوب ألا يتركه قبل أن يباركه هو أمر خاص بالله لينال يعقوب البركة، وقد تحققت فعلاً، فنوع الصراع صراع روحي لأن الذي يكسر الفخذ بضربة واحدة هو كائن سماوي وأن يعقوب غلبه بالدعاء وبالدموع وبالتوبة كما في هوشع ١٢ (٣و٤) (وبقوته جاهد مع الله. جاهد مع الملاك وغلب. بكي واسترحمه) وفي تكوين ٣٠ (قالت راحيل مصارعات الله قد صارعت أختي وغلبت) أي دعوت واستجاب الله الدعاء. يؤكد ذلك أن إسرائيل تعني رجل رأى الله (عرف وأحس عظمته) وهذا أيضًا أن المكان سمي فنوئيل أي رأى الله أو من رأى الله، نفس المعنى تكرر في إصحاح ٣٧ في العبرانية رجل وفي السامرية ملاك.

سفر التكوين في بدايته يكاد يكون متطابقًا مع التصور المصري القديم لبداية العالم والإله وبداية الخلق. واستمر سفر التكوين في سرد قصص الأنبياء ومنها قصة آدم وبعدها طوفان نوح حتى إبرام (إبراهيم) بطريرك التوحيد (أب أو كاهن) فهو أبو الآباء، طلب منه الرب أن يخرج من أور الكلدانيين إلى أرض كنعان (فأجعلك أمّة عظيمة وأباركك وأعظّم اسمك وتكون بركة وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض) تكوين ١٢ .و في نفس السفر يطلب الرب أن يترل إبرام إلى مصر بسبب حدوث جوع شديد، وتروي التوراة في (تك ١٢:١١-٢٠) أن إبرام خاف من المصريين أن يقتلوه وزوجته كانت شديدة الجمال، فقال لفرعون إنها أخته وقدمها لفرعون لتمتع الفرعون حتى يسمح لهم الفرعون بالبقاء ويعطيهم طعامًا وماشية كثيرة، ولكن الله أنزل لعنته على مصر بسبب ذلك، فعرف الفرعون الحقيقة وعاتب إبرام بشدة وأطلقه مع زوجته. وفي تكوين ١٣ عاد إبرام إلى أرض كنعان وبدأ ينتشر مع قريبه لوط وأغنامهما في المناطق المحيطة، و يأتي وصف أرض مصر كجنة الرب في هذا السفر. (١٥و١٦) (لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد، وأجعل نسلك كتراب الأرض). وكتب الله في إصحاح ١٥ :الأرض لنسل إبرام من النيل إلى الفرات. أما إصحاح ١٦ فيحكي عن قصة هاجر الجارية المصرية التي لساراي زوجته (وهنا اعترض كثير من المؤرخين والمحققين، حيث إنه من غير المعقول أن تكون هناك جارية مصرية لزوجة عراقية أو عبرانية وشعب مصر هو أعظم شعوب الأرض وهؤلاء العبرانيين مجموعة من البدو الرعاع، والسبب الآخر أن عزرا بكرهه للمصريين أراد أن يضع أصلا وضيعا للعرب أحفاد الجارية أم إسماعيل كعادته في وضع أصول كل أمة لخدمة اليهود بشكل سياسي، وبعضهم قال إنه قديما كان الزوج تقول له الزوجة سيدي، وأنها لم تكن جارية بل هي زوجته، وجارية بمعني امرأة صغيرة وليست خادمة) وابنها إسماعيل أبو العرب الابن الأكبر لإبرام ومعناه (سمع الله) أي سمع بشكواها وقال لها الملاك إن إسماعيل مبارك ومبارك نسله، وأنهم كثيرون وأنه سيكون صيادا ماهرًا ومروضا للوحوش والبرية محبوبًا من الناس وأمام إخوته يسكن (نبوءة لتروله لجزيرة العرب إذ تعد جنوب المشرق العربي). وفي (تك ١٧ :٤-٢٢) يغير الله اسم إبرام إلى إبراهيم (أبو الأمم) وأخذ الرب منه عهدا على أنه ملك وإله هذه الأرض التي يعيش فيها نسل إبراهيم، وأن يعبدوا الله وحده وأن

يختتنوا في اليوم الثامن، وبشره بإسحق وبالبركة في أبنائه، وفي (تك ١٧ :٢٠) (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا، اثني عشر رئيسا يلد، وأجعله أمة كبيرة) وأنه الرب سيجعل في نسل إبراهيم الشريعة (الحكمة والنبوة) والملك، وهذه من المبشرات بالنبي العربي محمد من نسل إسماعيل وإبراهيم وغيرها.

ومن الملاحظات أيضًا على نهج عزرا في كتابة التوراة نجد استمراره في ذكر أصول الأمم بطريقة غريبة كما في إصحاح ٢١ إذ بعد هلاك سدوم وعمورة تقوم ابنتا لوط النبي بإسكاره وزنا المحارم معه وتنجبان مواب وهو أبو الموابيين وعمون وهو أبو العمونيين (وهنا يتساءل المفسرون هل هلك الرجال من الدنيا فلم يبق إلا أبوهم ؟!!! وبعد حادث مهول كإهلاك سدوم وعمورة كان البشر في حالة اندهاش كبير ووجوم إلا البنتين وحدهما كانتا تفكران، فمن له بال للتفكير أصلا في هذه الظروف) والحقيقة أن المتتبع للتوراة يجد أن اليهود يثبتون أنفسهم كأصح وأقدم الأديان، وأنهم أعلى أصلا من العرب جميعًا إذ هم الأصل ولا تضع تفسيرا لهذا ولا أدلة تاريخية على هذه الروايات التوراتية. إصحاح ٢٧ يتحدث عن يعقوب وقصته مع أبيمالك ملك الفلسطينيين، والغريب أن قصة إهداء زوجة يعقوب للملك تتكرر مثلما حدث مع إبرام، ولكن الملك عرف بالأمر قبل أن يضطجع معها (شئ عجيب جدا). وأخذ الله منه العهد السابق (كعهد إبرام) وأعطاه الله ماشية وأموالا وأولادًا كثيرين .

وقد بشرت التوراة بمحمد حفيد إسماعيل آخر الأنبياء كما في(تث ١٨ :١٤-٢١) يقول الرب مخاطبًا موسى وكان معه بنو إسرائيل جميعًا إن الأمم تكفر وترتد من بعده و (أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) معني من إخوتهم أي من بني إسماعيل ومثلك أي يأتي بشريعة (المسيح لم يأتِ بشريعة) وقد أخبر النبي محمد اليهود بما كان يحدث سابقًا وعاصرهم في المدينة وسألوه عن أشياء وبعضهم أسلم فعلا. وتأكيدًا قال الرب (الذي لايسمع لكلامي الذي يتكلم به أنا أطالبه) أطالبه معناها أعاقبه وهو معروف وثابت في تاريخ الإسلام. وبحسب النص السامري في (تث ٣٢ :١٥-٢٧) يتوعدهم الرب بالعقاب ويجازيهم عن كفرهم وشركهم (هم أسخطوني بغير قادر وأكادوني بهبائهم وأنا أغيرهم بغير قوم بشعب ساقط أكيدهم) وبعدها (أعطل من الملأ ذكرهم) وفي ٣٦ و٣٧ إشارات واضحة ليوم الحساب، وهذه

كلها أدلة على بعثة النبي محمد في آخر الزمان. وورد أيضًا في (تث ٣٣ :١ -٣)(جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير – بلد المسيح – وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم) فاران عند المسلمين هي الصحراء العربية، وذكر ذلك عدد كبير من المفسرين والمترجمين للكتاب المقدس كما في (تك ١٦ :٢١) فاران موضع سكن إسماعيل ونسله وفيه عيشة أهل الصحراء من صيد وركوب للخيل وتنقل دائم، واستدل المسلمون عن هاجر التي زوجت ابنها بامرأة مصرية (وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء) إنه بئر زمزم، وأنكر بعض المفسرين ذلك وقالوا إن فاران جنوب بئر سبع بفلسطين، وقال البعض إنها جنوب صحراء كنعان و لم يحدد موقعها. واعتبر المسلمون هذا دليلاً آخر على نبوة محمد وأنه سيكون نبيًا وملكًا ومحاربا (عن يمينه نار). واعتبر المسلمون أو الأحبار الذين أسلموا هذه الآيات في سفر التثنية كمشاكلة لسورة التين في القرآن (إذ التين في سيناء والزيتون في بلدة سعير بالقدس). كذلك ورد في(حيقوق ٣ :٣) (الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران) فاران تقع إلى جوار تيمان وهي منطقة من مملكة أدوم التي تقع جنوبي شرقي مملكة يهوذا (الصحراء العربية وإن حدد البعض في منطقة مكة والمدينة الآن) ومعني فاران المقدسة بذاتها أو من ذاتها (اعتبرها المسلمون البلد الحرام) والقدوس الذي يخرج منها تعني الرجل المهيب حسن الأخلاق الذي يمدحه الجميع ويقدرونه، وهو ما يعني اسم محمد (أنكر بعض المفسرين من غير المسلمين هذا التأويل وتمسكوا بتأويلهم لموقع فاران في جنوب فلسطين واستدلوا بذلك في إحدى آيات الكتاب المقدس أن يعقوب ذهب إلى فاران) .واستنتج كثيرون اسم محمد من التوراة السامرية (وفي إسماعيل استجبت منك هو ذا باركته وأثمره وأكثره جدا جدا اثنا عشر رئيسا يلد وسأجعله شعبا عظيما) وكلمتي جدا جدا تعني بماد ماد (قريبة من محمد مع تحور الكلام وتطور الحروف) وكلمة شعبا عظيما تعني لجوي جدول) وبحساب الجمل (كل حرف له قيمة عددية حسب ترتيبه في حروف الهجاء) نجد أن هذا الذي هو من بركة إسماعيل اسمه محمد (عددها ٩٢ الميم ٤٠ والحاء ٨ والدال ٤)وبماد ماد عددها ٩٢ (الباء ٢الميم ٤٠ والالف ١ و الدال ٤) ومثلها لجوي جدول عددها ٩٢ (اللام٣٠ والجيم ٣ الواو ٦ الياء ١٠ والدال ٤).

ورد في (تك ٤٩ :١-١٢) جمع يعقوب وهو على فراش الموت أبناءه ليوصيهم بالتكاتف والتعاون ويأخذ منهم عهد الله أن يعبدوه ولا يشركوا به. ويذكر صفات كل منهم ومهماته وأن يحترموا بعضهم البعض ويسمعوا ويطيعوا كل في مجاله، فلاوي كاهن ويهوذا ملك وقائد (لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب. رابطا بالكرمة جحشه وبالجفنة ابن أتانه غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه مسود العينين من الخمر ومبيض الأسنان من اللبن) استقر المفسرون على أن شيلون (تعني مرسل من الله أو واهب السلام، وورد اللفظ شيلوه في بعض التراجم وتعني الذي ملك كل شئ) وقضيب يهوذا تعني صولجان الملك، ومشترع يعني يأتي بشريعة ومن بين رجليه تعني من أبنائه فيكون الملك في نسل يهوذا حتى يأتي شيلون وتخضع له الشعوب، وقوله إنه جمع بالأتان والجحش ترمز إلى اليهود والأمم الأخرى فيجمعهم إلى الإيمان بعد ما ضل اليهود، ويكون لكل الأمم وليس لليهود فقط (إذ كان يختص اليهود الرب لهم فقط) وأوصاف شديد سواد العينين وبياض الأسنان دليل الحسن والبهاء في الوجه والبركة في عهده، إذ يحل الرخاء والسلام على يدي شيلون، وقد ذهب بعض المفسرين أن شيلون هو نبي الإسلام وهو رأي ضعيف، إذ ليس محمد من نسل يهوذا ولم يركب الأتان بل كان العرب يركبون الجمال، وكذلك البعد الزمني الكبير ولا تسلسل تاريخي يربط بين الحديثين، والبعض الآخر (الرأي الأقوى) أن شيلون هو المسيح، إذ إنه من نسل يهوذا وقد دخل أورشليم راكبا الأتان، وقد وحد الأمم بدعوته إلى الإيمان، وهذه بشارة واضحة بالمسيح في التوراة .

وكان من عادة الكهنة في بني إسرائيل مسح الملوك والعلماء بدهن أو بزيت مخصوص كانوا يقدسونه ويطلقون على هذا الممسوح (مسيا) وتعني المبارك أو المختار أو المصطفى. وفي أصل العبرانية (ماشيح) وفي اليونانية مسيح .

وقد تم في الكتاب المقدس المسح (البركة أو التنصيب) في عدة مواضع (وتمسح هارون وبنيه ليكهموا لي) و(فامسحه "شاؤول" رئيسا لشعبي) ،(وأتوا هناك رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكا على بيت يهوذا)،(امسح ياهو بن نمشي ملكا على إسرائيل وامسح اليشع بن شافاط من آبل محولة نبيا عوضا عنك) .

عندما خالف بنو إسرائيل العهود الإلهية وجحدوا بوصاية الأنبياء وخالفوا تعاليم التوراة أذلهم الله بكفرهم وسلّط عليهم الأمم بسيف عذابه ونقمته، وظل اليهود ينتظرون مخلصهم ليفديهم ويحط عنهم خطاياهم. فأرسل القدر لهم المسيح يسوع الناصري الذي خرج من مدينة الجليل ببيت لحم في مدينة القدس. البشارات بقدوم المسيح في العهد القديم كثيرة جدا – وإن كان غالبها تم بتأويل النصوص والنبوءات من قبل علماء المسيحية، فاليهود لم يؤمنوا بالمسيح وينتظرون مسيحًا آخر.

بدأ بنو إسرائيل حياتهم كتجمعات وقبائل قبل أن يوحدهم داود في مملكتهم الخاصة. وزعماء ورؤساء القبائل كان لهم تأثير سياسي واجتماعي وديني وعرفوا (بالقضاة :شوفيطيم) كما ورد في (٢ صم ٧ :١١)(ومنذ يوم أقمت فيه قضاة على شعبي إسرائيل) واعتبر المؤرخون أن هذه الحقبة التي امتدت بداية من موت يشوع (يوشع بن نون فتى موسى وخليفته) وخلالها عصي اليهود أوامر الرب وارتكبوا المعاصي والذنوب والسيئات وأشركوا وكفروا وتقاعسوا عن حرب أعداء الرب، وكانت فترة شديدة السواد والظلمة عليهم وازدرتهم واحتقرتهم جميع الأمم، وانتهت بمقتل شمشون وأعدائه الفلسطينيين بانهيار المعبد وتتويج شاؤول فهو أول ملوك بني إسرائيل وهو من سبط بنيامين (١صم ٩ :١، ٢)(وكان رجلاً جبارًا وغنيًا من قبيلة بنيامين اسمه قيس بن أبييل بن صرور بن بكورة بن أفيح. وكان له ابن حسن الطلعة في زهوة العمر اسمه شاؤول و لم يكن في بني إسرائيل رجل أبهى منه، وكان يزيد طولا على جميع الشعب من كتفه وما فوق) وشاؤول لم يرث أحد ملكه ولكنه رفض من أمام الله بسبب كثرة خطاياه، واختار الرب داود من سبط يهوذا (لذلك اشتهر بنو إسرائيل باسم يهود) .وفي (٢ صم ٧ :١٢-١٦) يحدث الرب داود قائلا (متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته، هو يبني بيتا لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد) ويكمل (إن تعوج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم) وذكر المفسرون هنا أن المقصود سليمان ونسل داود، والبعض قال إن المعنى روحي وهو المسيح لأنه –عند المسيحيين – الوحيد الذي ملكه يدوم إلى الأبد. ويستمر السفر على معصية اليهود للرب وكفرهم به وبنعمه فيسلط عليهم من يذلهم ويهزمهم ثم يستغيثونه فينقذهم من الذل والأذى. سفر القضاة خير دليل غير قابل الجدال ولا المساومة أن فلسطين أرض

عربية ١٠٠ % وأن اليهود (سبط بنيامين) عندما دخلوا أورشليم كان فيها اليبوسيون وعاشوا معًا فيها .

كان لليهود حياة روحية ونظامٌ في العبادة، وكان الكهنة كلهم من سبط لاوي، وفي بداية سفر لاويين يتحدث الرب عن كيفية تقديم القرابين عند المحرقة والمذبح من الحيوانات والطيور والدقيق، ويوضح الرب الغرض منها وما يستحل وما يحرم عليهم عند القربان وحتى التكفير عن الخطايا والذنوب وأيضًا خيانة الأمانة، واستمر السفر في تعاليمه حتى التطهر من النجاسة والمرأة من حيضها وولادتها، كما ذكرت طرقا للاستشفاء والعلاج من بعض الأمراض. وأنذرهم الرب بشدة عن أكل أموال الناس بالباطل وطالبهم بالإحسان للآخرين وغيرها من العبادات والتشريعات والمحرمات، ويختتم السفر بطريقة حساب النذور ودفعها. ولكن كما في (عدد ٢١:٥-١٥) عندما أخرجهم موسى من مصر وكانوا أنكروا فضل الله عليهم وكفروا نعمته وقالوا إن الله سيهلكنا في الصحراء وأنهم كرهوا الطعام السخيف الذي رزقهم الله فعاقبهم الرب بإرسال الحيات تلدغهم ومات منهم عدد كبير، وهذا غالبا حالهم الجحود والكفر والخطيئة.

وعرف اليهود حروبا طويلة خسروا غالبيتها العظمي بسبب معاصيهم وخطاياهم، وقد ورد في (مز٤٦: ٩ -١١)(رب الجنود معنا) إن الحروب لابد أن تكون لنصرة الرب، وتذكر التوراة أنه بعدما شاخ الملك داود وقارب على الموت بدأ نزاع على الملك، وقد حاول أدونيا أن يملك من بعده حتى وصل لسليمان وهو ما يرويه سفر الملوك الأول حتى صاهر سليمان فرعون مصر وحسن علاقاته مع كل الملوك المحيطين به، وقام ببناء الهيكل ليكون بيتا للرب وبلغ سليمان بحكمته وثروته شهرة عالمية وقصته مع ملكة سبأ مشهورة. ولكن الغريب جدا هو التحول الشديد إلى ملك مسرف وغارق في شهواته ونزواته لا يطيع الرب، بل وأوصلته رواية التوراة لعبادة الأوثان وتفضيله الخيل والنساء على الرب وشعبه. ومن هنا يبدأ السقوط للمملكة الموحدة وتتفشى المعاصي والكفر وتنقسم المملكة إلى جزئين وأحيانا كثيرة يدخلان في صراع وحروب، ثم يظهر بوضوح التهديد الآشوري الذي يهلك مملكة السامرة ثم بعدها تهلك المملكة الأخرى يهوذا وتنتهي أحداث السفر بالسبي البابلي وتحطيم الهيكل وخراب أورشليم. ثم الحديث عن فترة السبي والعودة وبناء الهيكل بأمر كورش وتجديد أورشليم، وتستمر أسفار العهد القديم في إيراد نبوءات وأخبار

أنبياء ومراثيهم حتى عهد المكابيين (الاسم الحقيقي لهم الحشمونيين) وتتحدث أسفار المكابيين عن آخر أيام اليهود قبل ظهور المسيح ودعوته، وتصف أحداث كاستقلال اليهود عن العرش السرياني على يد يهوذا مكابيوس، وبعد ذلك يتحدث وتقريبا حتى ١٣٥ ق م . ووردت أسفار أخرى وإن لم تتفق على صحتها الطوائف المسيحية واليهودية.

يظهر بوضوح أن نظام الحكم كان ملكيا ثيوقراطيًا، فالله هو الملك الحقيقي المحتجب غير المنظور وعاهد الشعب على ذلك وإن كان الشعب لم يفِ في غالب الأوقات فالله أمر صموئيل ليمسح شاؤول ملكا ومن بعده داود، ووعده الله بدوام الملك ثم لما أخطأ داود هدده ناثان النبي بالعقوبة من الله فتاب داود. وورد في المزامير (الرب ملك إلى الدهر وإلى الأبد)،(لأن الرب الملك هو المتسلط على الأمم)،(يجلس الرب ملكا إلى الأبد) فكان للأنبياء دور كبير جدا في حياة اليهود، ونرى ذلك واضحا فيما يعرف بالميثاق الداودي مما أنتج ما يعرف بالناموس وهو عهد ووصية أن طاعة الرب تؤدي إلى قيام المملكة وعدم الطاعة للشريعة الإلهية يعني دمارًا وهدمًا وزوالاً للمملكة. ولكن تكمن المشاكل في خلط اليهود عبادة (يهوه يعني الرب) وبين آلهة الكنعانيين والوثنيين والزواج من الأجنبيات الوثنيات، وكانوا عصاة وخانوا العهد غالب الأوقات.

المسيحية

بعدما جاء إبراهيم بأهله من أور في جنوب العراق وسكن أبناؤه وأحفاده مناطق مختلفة، وجاء أبناء يعقوب (إسرائيل) في مصر مدة ٢٠٠ سنة أيام يوسف (تعني يزيد أو من يكرمه الله بالنعم أو من يزيدهم الله ولدًا آخر) حتى أخرجهم الله على يد موسى وبعده يوشع بن نون وعاشوا مع الكنعانيين والفلسطينيين في حكم قبائل يرأسها قضاة حتى اختاروا شاؤول ملكا، ولكن تعتبر أول دولة لليهود مملكة داود قبل ١٠٠٠ ق م وظلت موحدة تقريبا ١٠٠ سنة، وورثه سليمان حتى عهد التقسيم إلى مملكتين. وبلغت الخلافات والصراع بينهما أن بنى أحد ملوك السامرة هيكلا في مملكتهم حتى عام تدمير مملكة إسرائيل (المملكة الشمالية في السامرة) عام ٧٢٧ ق م بسبي البابليين لهم وبعدها تدمير مملكة يهوذا بالسبي البابلي وتدمير أورشليم وهدم الهيكل على يد نبوخذ نصر والسبي البابلي ليهوذا أيضًا، وفي هذه الفترة كتب عزرا التوراة الموجودة حتى وقتنا هذا ومعروفة بين الناس. وبعد سقوط آشور سمح كورش ملك الفرس لهم بالعودة وببناء الهيكل ٥٣٨ ق م (طوال فترة المملكتين كانت مملكة يهوذا أفضل حالا بسبب العبادة والهيكل فيها، وتشتت السامريون بشكل أكبر في أماكن كثيرة من العبرانيين، فكان لهذا أثر كبير بعد العودة من السبي – وإلى الآن – أعداد اليهود أكثر من أعداد السامريين). سقطت أورشليم بأيدي اليونان وانتصروا على الفرس عام ٣٣٣ ق م وفي أواخر أيام حكم اليونان اضطهدوا اليهود جدا وأذلوهم حتى أن ملوكهم أجبروا اليهود على عبادة الأوثان، وتحت هذا الظلم قامت ثورة المكابيين عام ١٦٧ ق م (كان المكابيون عملاء لروما) ضد أنطيوخس أبيفانيوس، وحكم المكابيين (من سبط يهوذا) أورشليم، ووصل للحكم يوحنا هركانوس ١٣٤ ق م وجمع الولاية والكهنوت معًا، وهدم هيكل السامريين بعد ٢٠٠ سنة في جبل جرزيم عام ١٣٠ق.م وأجبر الأدوميين على التهود وبعده أخوه إسكندر جانيوس الذي قام بتهويد الفلسطينيين ٩٧ ق م حتى عام ٣٧ ق م عندما حكم الرومان بعدما هزموا اليونان والبطالمة (انتهت إمبراطوريتهم بعد معركة أكتيوم بالإسكندرية ٣٠ ق م) وقد صار هيرودس الكبير الأدومي (أدومي الأب ونبطي الأم) حليف الرومان، وقد قام بإعادة بناء الهيكل وتوسعته وظل ملكًا لأورشليم حتى ظهور

المسيح وانتشار دعوته في عصر خلفاء هيرودس تحت حكم الرومان، في هذه الفترة الصعبة من التاريخ حيث تأفل قوة قديمة وتظهر قوة جديدة في العالم .

ورد في سفر أشعياء إصحاح ١١ بشارة بالمسيح، ووردت أوصافه طوال هذا الإصحاح صراحة وتلميحًا في أسفار تسبقه وأخرى تليه – وهذه الأوصاف يتفق عليها القرآن والكتاب المقدس– (ويخرج قضيب – ملك أو نبي أو كاهن وهي إشارة لمن يحكم في الأرض – من جذع يسّى (من سبط يهوذا) وينبت غصن من أصوله(أي يحمل رسالة إبراهيم وموسى وإسحق ويعقوب) ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم والمشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض ويضرب الأرض بقضيب فمه "كلامه له بركة عظيمة ومعجزات" ويميت المنافق بنفخة شفتيه ويكون البر منطقة متينة والأمانة منطقة حقويه فيكون الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدي والعجل والشبل والمسمن معا وصبي صغير يسوقها)، (ويكون في ذلك اليوم أن السيد (الرب) يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه)، (ويرفع راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض فيزول حسد إفرايم – السامريين – وينقرض المضايقون من يهوذا إفرايم لا يحسد يهوذا ويهوذا لايضايق إفرايم)(وتكون سكة لبقية شعبه التي بقيت من آشور كما كان لإسرائيل يوم صعوده من أرض مصر) وتدحض الآيات الأخيرة ادعاء اليهود أن المقصود هو أحد أنبيائهم أو ملوكهم إذ إن المسيح وحده هو الذي وحد بين السامريين وبين يهوذا، كما أنه وحده من جمع في دعوته اليهود بالأمم كلها وحتى إصحاح ١٢ الذي يتحدث عن الخلاص – التوبة والغفران للخطايا– المخاطب هو اليهود (وتقول في ذلك اليوم تحمدك يا رب لأنه إذ غضبت عليّ ارتد غضبك فتعزيني هو ذا الله خلاصي فاطمئن لأن ياه يهوه (تعني يا إلهي) قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصا) اختلف المفسرون حول هذه الآية فالمسيحيون قالوا الخلاص هو ذات الله (يهوه) فيكون الخلاص في المسيح، واعترض آخرون(يهود ومسلمون) على هذا وقالوا إن الخلاص في الترنيمة (ياه يهوه) والله يستجيب الدعاء ويمدهم بالقوة. ويستكمل (أش ١٢ :٣-٦)(فتستسقون مياها بفرح من ينابيع الخلاص وتقولون في ذلك اليوم احمدوا الرب

ادعوا باسمه عرّفوا بين الشعوب بأفعاله ذكّروا بأن اسمه قد تعالى)، (صوتي وافتخري يا ساكنة صهيون- رمز لليهود –لأن قدوس- رجل مبارك عظيم الشأن أو نبي المسيحيون أصروا أنها أحد أسماء الرب وصفاته – إسرائيل عظيم في وسطك). وفي (أش ٩) يتحدث أيضًا بوضوح كبير عن المسيح (يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعي اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديًا رئيسا للسلام) اتفق اليهود والمسيحيون على أن للفتى اسمًا عجيبًا ولكن اختلفوا في التشكيل ففسر المسيحيون الآية بأن الفتى هو نفسه الإله القدير الأبدي، وفسر اليهود أن الذي يسمي الفتي هو الإله واستدل المفسرون من المسلمين على صحة رأي اليهود بالآية التي تليها (لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد غيرة رب الجنود- انتقاما من أعدائه وحبا في المؤمنين- تصنع هذا) ورب الجنود اسم لله متعارف عليه في التوراة عندما يريد إهلاك أعدائه فلا دليل على تجلّ أو ظهور مسياني عكس التفسير المسيحي، وبقية الإصحاح يدل على المسيح إذ إنه أصلح بين يهوذا والسامرة و لم تمتد يداه بالأذى لأي شخص حتى من أعدائه عكس كل من سبقوه من بني إسرائيل، ووضحت دعوته للأمم كلها وليس لبني إسرائيل خاصة كما كان كل من سبقوه.

وفي (أر٢٣ :٥) تستمر البشارات عن المسيح (ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملكًا وينجح ويجري عدلا وحقا في الأرض) والإصحاح يتحدث بوضوح عن سوء حالة بني إسرائيل وعصيانهم لأوامر الرب ونكران النعم (لأن الأرض امتلأت من الفاسقين لأنه من أجل اللعن ناحت الأرض)، (صار سعيهم للشر وجبروتهم للباطل لأن الأنبياء والكهنة تنجسوا جميعًا بل في بيتي وجدت شرهم - الهيكل – وقد رأيت في أنبياء السامرة تنبأوا بالبعل – إله أشركوا به – وأضلوا شعبي إسرائيل)، (هكذا قال رب الجنود لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبأون لكم- الكهنة- فإنهم يجعلونكم باطلا ويتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب)، (قال الرب يكون لكم سلام)، (لا يرتد غضب الرب حتى يجري ويقيم مقاصد قلبه في آخر الأيام تفهمون فهما) ومثله في نفس السفر إصحاح ٣٣ (ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم الكلمة الصالحة التي تكلمت بها إلى بيت إسرائيل وإلى بيت يهوذا في تلك الأيام وفي ذلك الزمان أنبت لداود غصن البر

فيجري بِرًا وعدلا على الأرض) والكلمة الصالحة بلا خلاف بين الجميع أنه المسيح كلمة الله.

من أكثر ما حير المفسرين هي الآيات في (مز ٨٩ :٣ -٥) (قطعت عهدًا مع مختاري حلفت لداود عبدي إلى الدهر أثبت نسلك وابني إلى دور فدور كرسيك والسماوات تحمد عجائبك يا رب وحقك أيضًا في جماعة القديسين) رأى البعض أن المقصود هو المسيح والمسيحيون رأوا أنه تصريح بأن يهوه (اسم الرب في العهد القديم) هو المسيح، واعترض البعض على هذا التفسير واستدلوا على رأيهم من الآيات التي تليها (لأنه من في السماء يعادل الرب – مَن استفهامية وهو استفهام استنكاري يفيد النفي — من يشبه الرب بين أبناء الله ؟ إله مهوب جدًا في مؤامرة القديسين (يعطيهم أوامر إذ يعتقدون أن القديسين واسطة لهم عند الله حيث أعطى الرب للقديسين من قدرته و خوارقه مثل أن الله يقضي على أيدي القديسين حوائج الناس – ومخوف عند جميع الذين حوله، يا رب إله الجنود من مثلك ؟) قوله مَن يشبه الرب بين أبناء الله تعني لا مثيل للرب بين المؤمنين (يو١ :١٢) (أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين باسمه)

وذهب آخرون أنه حوار بين داود والرب أثناء الصلاة والدعاء- خاصة أنه ورد في المزامير- ليس فيه دليل على التبشير بالمسيح. و لم يثبت أي منهم رأيه بشكل حاسم. في نفس الإصحاح ورد نفس المعنى السابق (هو يدعوني أبي أنت إلهي وصخرة خلاصي أنا أيضًا أجعله بكرًا أعلى من ملوك الأرض إلى الدهر أحفظ له رحمتي وعهدي يثبت له وأجعل إلى الأبد نسله وكرسيه مثل أيام السماوات إن ترك بنوه شريعتي ...إلى آخره) بالتأكيد داود ليس بكرًا فالذي كان بكرًا هو المسيح. رأى المسلمون هذه الآية تطابقًا مع القرآن إذ إن المسيح هو من نسل داود وهو نبي مرسل أبدي أي أعلى من الملوك، أما كلمة (نسله وبنوه فتعني التابعين له المؤمنين به) وفي المسيحية أن المسيح هو بكر لقيامته من الأموات وهو بكر لأنه رأس الكنيسة، وهذا يرجح الرأي القائل إن الإصحاح بشارة بالمسيح، وأكثر دليل قاطع على ذلك ما ورد في آخر السفر من عتاب شديد للرب (٣٨ :٤٩) بسبب مذلتهم الكبيرة وحالهم السيئة وتسلط أعدائهم عليهم وامتهان الأمم لهم حتى آخر السفر والأسفار التي تليه (قد يكون من داود أو شكوى حال خلفائه من بعده) ويبدأ إصحاح ٩٢ بحمد الرب (حسن هو الترنم للرب والترنم لاسمك أيها العلي)

وإصحاح ٩٣ و٩٤ وما بعده واضح أنه تمهيد لعمل إلهي كبير ورحمة من الله ورفع لسخطه وإنفاذ لعهد الله مع داود (الرب قد ملك لبس الجلال لبس الرب القدرة ائتزر بها)، (يا إله النقمات أشرق يا رب يا إله النقمات أشرق. ارتفع يا ديان الأرض جازِ صنيع المستكبرين) وبعد كل هذا التمهيد اتضح الحدث العظيم وهو خلاصهم في بداية إصحاح ٩٥ (هلم نرنم للرب نهتف لصخرة خلاصنا نتقدم أمامه بحمد وبترنيمات نهتف له لأن الرب إله عظيم ملك كبير على كل الآلهة) ونفس المعنى في إصحاح ٩٦ (رنموا للرب ترنيمة جديدة، رنمي للرب يا كل الأرض، رنموا للرب باركوا اسمه بشروا من يوم إلى يوم بخلاصه) وهنا الخلاص واضح أنه خلاص جديد غير معهود من قبل ليس كالإرسال السماوي السابق هذه المرة القدر يضع نقطة مفصلية في التاريخ يختلف ما بعدها تماما عما كان قبلها، كل هذه الأدلة المتسلسلة تؤكد أن هذه المزامير تبشر بالمسيح المخلص (مز٩٦: ١٠) (قولوا بين الأمم الرب قد ملك أيضًا تتثبت المسكونة فلا تتزعزع يدين الشعوب بالاستقامة) وهذه نقطة اختلاف المسيح عن كل من سبقوه أنهم جاءوا انتقاما وكانوا نقمة على أعداء بني إسرائيل، أما هو فجاء رحمة وسلام ونعمة (باتفاق الجميع مسلمين ومسيحيين)، (أمام الرب لأنه جاء ليدين الأرض، يدين المسكونة بالعدل والشعوب بأمانته) وفي نهاية إصحاح ٨٩ (الذين عيروا آثار مسيحك) مسيح تعني الممسوح بالبركة ولا يشترط أنها تختص بشخص المسيح، وقد تكررت في السفر ونفس المعنى ورد في ٨٩. ويظهر الخلاف بين المسيحيين وغيرهم أنهم يرون أن الرب بذاته هو الفاعل، أما الآخرون فيرونه أداة إلهية أو وسيلة سماوية للرب الأعلى.

ولكن يروي التاريخ رواية أخرى – ربما تزعج البعض ولسنا في مجال أو محل للحكم على صحتها – فآريوس كاهن سكندري قديم وأتباعه لم يكن لهم نفس وجهة النظر لغالبية المسيحيين اليوم، فقد نادى آريوس بتعاليم منافية للعقيدة منكراً لاهوت المسيح وأنه لم يكن إلهاً بل هو مجرد إنسان مخلوق، فكان نتيجة هذا التعليم أن حدث انشقاق وبلبلة هددت وحدة المسيحية. واعتبره كثير من المؤرخين والمؤلفين موحدًا – بالنسبة للمسلمين كابن حزم – وضعف المذهب الآريوسي وتلاشى حاليًا إلا من جماعة شهود يهوه تقريبًا. فالخلاف بين الطوائف المسيحية قديما وحتى الآن على العلاقة بين اللاهوت والناسوت

والروح القدس والأقانيم لم تكن فقط خلافات لتفسيرات دينية أو خلافات عقائدية، فقد لعبت السياسة دورًا كبيرًا بين الكنائس العظمى وقتها كروما والقسطنطينية وأنطاكية، وكانت في المقدمة دائما لحسم الصراعات الدينية كمرجع علمي أكبر هي كنيستنا القبطية التي تمثل حتى الآن الركن الأعظم للإيمان الأرثوذكسي، فكرسي القديس مرقص الكرسي السكندري يمثل براثن الأسد المدافع عن الإيمان الأرثوذكسي. إذ كانت شريكًا أساسيًا في كل المجامع المقدسة المختلفة التي صاغت قوانين الإيمان المسيحي عبر التاريخ، فالمجمع المسكوني (العالمي) الأول الذي دعا له الإمبراطور قسطنطين في نيقية ٣٢٥م برئاسة بابا الإسكندرية الأنبا ألكسندروس صاغ أول قانون للإيمان. ولقب قسطنطين بمحبوب الإله وحامي الإيمان ونصير يسوع، إلا أن الكثيرين شككوا في صدق إيمانه وأنه فعل ذلك لأهداف سياسية بحتة، حيث نقل العاصمة من روما إلى بيزنطة وسماها باسمه واتخذ من المسيحية ستارًا لضرب أعدائه وليسيطر على الإمبراطورية ويقضي على الثورات والشقاقات والنزاعات المتعددة والمتكررة من خلال نفوذ ديني يفرضه على الأساقفة فيستحوذ على الكنيسة، وذكر البعض أنه كان مهرطقًا ولم يتم تعميده إلا على فراش الموت.

وكان التنافس بين الإسكندرية وأنطاكية كان له جذور ثقافية، إذ استمدت كل منهما رؤيتها للمسيح من خلفية فلسفية تسبق المسيح، إذ ركزت أنطاكية على المعنى الحرفي للكتاب المقدس (نظرة أرسطوطالية) أما الإسكندرية فقد كانت تفضل الطريقة المجازية الرمزية (الأفلاطونية). فنتج عن ذلك أن الإسكندرية ورؤيتها انتصرت في المجامع وحتى الآن وصارت هي الإيمان المسيحي) دافعت عن لاهوت المسيح بشدة ولو على حساب الناسوت، وهي نقطة خلافهم مع أنطاكية التي تبنت تيار العقائد الذي يدعى اللوجوس (أي الكلمة) إنسان فصار لها نظرة ثنائية للمسيح (هذا يخالف ما تؤمن به المسيحية أن الإله واحد في جوهره الأقانيم الثلاثة) فرأت كل منهما خطورة من الأخرى على المسيحية. وقد نتج بعد هذا الخلاف ظهور نسطور وصراعه الكبير مع البابا كيرلس عمود الدين بابا الإسكندرية، فقد تأثر نسطور بآراء آريوس وتعاطف معه ومع عدالة قضيته، فقد ذكر بعض تلاميذ نسطور عنه قوله إن المسيح مولود من بشر والبشر لا يلد آلهة، كيف نقول إن السيدة العذراء ولدت رَبًا ونسجد لطفل عمره شهور لأن المجوس

سجدوا له، فالمسيح معجزة ربانية إنسان ظهر الله لنا من خلاله وحل فيه ليجعله بشارة الخلاص وعلامة العهد الجديد للإنسانية. ويرى نسطور أيضًا في شأن آريوس أن قسطنطين أراد فرض ولايته على أهل الصليب بدليل أنه أقام المجمع في نيقية المجاورة للقسطنطينية و لم ينتظر حتى يكتمل بناؤها، ولذلك فإن المجمع كان تلبيسًا قام به شيطان السلطة الزمانية التي تنازع الرب في سلطانه وتترع اختصاصاته لنفسها حتى أن قسطنطين أدار المجمع بنفسه وتدخل في الحوار اللاهوتي وأملى على الأساقفة قراراته، ويظن نسطور أن قسطنطين لم يقرأ حتى كتابًا واحدًا في اللاهوت المسيحي بل إنه لم يكن يعرف اللغة اليونانية. فكل ما كان يهم قسطنطين هو تثبيت ملكه على حساب الإيمان المسيحي فوصف قسطنطين الخلاف بين آريوس وألكسندريوس بالخلاف التافه الأحمق السوقي الوضيع مطالبًا الأسقفين أن يحتفظا برأييهما لأنفسهما ولا يشغلا به الناس. ولكن قسطنطين انحاز إلى ألكسندريوس طمعًا منه في قوة مصر وخيراتها بالذات القمح والعنب متحالفًا مع قوتها الروحية العظمى وهي كنيستنا القبطية الأرثوذكسية فحكم قسطنطين بهرطقة آريوس وأكثر من ذلك حرق جميع الأناجيل المخالفة –باستثناء الأربعة المشهورة – وقتال أصحابها وحرمانها وطردهم من الكنائس وعزلهم من مناصبهم ومحاكمتهم – طبعًا منها أناجيل كثيرة منها إنجيل برنابة المشهور لدى كثير من المسلمين وغيرها – فرأى نسطور أن آريوس حاول تخليص المسيحية من تأثير الديانة المصرية القديمة التي فيها ثالوث مقدس (إيزيس وأوزيريس وحورس) الذي أنجبته أمه في ولادة عذرية (دون مضاجعة) فلا يصح أبدًا أن يقال عن الله إنه ثالث ثلاثة، فهو واحد لا شريك له في ألوهيته، ويرى نسطور أيضًا أن آريوس أراد أن تكون الديانة لله وحده فاعترف بسر الظهور الإلهي في المسيح وغير معترف بألوهية يسوع، أي أنه يرى يسوع بن مريم الموهوب للإنسان وغير معترف بشريك للإله الواحد. فحتى الديانة المصرية القديمة كانت تقول إن الإله واحد فوق كل مقدس. ويروي البعض أنه مات مقتولاً.

في إفسس سنة ٤٣١م عُقد مجمعٌ خاصٌ لمناقشة أفكار نسطور لكونه أنكر أن العذراء والدة الإله، فقال إن مريم لم تلد إلهًا بل ما يولد من الجسد ليس إلا جسدًا وما يولد من الروح فهو روح، فالعذراء ولدت إنسانا ما هو إلا آلة للاهوت. وذهب إلى أن يسوع المسيح ليس ربًا في حد ذاته إنما هو شخص مملوء بالبركة أو ملهم من الله أو نبي لم

يرتكب خطية وبذلك لا يصح أن تسمى العذراء ثيوتوكوس (أم الإله) بل تسمى كريستوكوس(أم المسيح). وكالعادة يرأس المجمع بابا الإسكندرية وكان وقتها هو البابا كيرلس الكبير، وحضر معه الأنبا شنودة رئيس المتوحدين والمجمع الذي قبله أيضًا كان في القسطنطينية ٣٨١م برئاسة بابا الإسكندرية الأنبا تيموثاوس. والذي يعرف تاريخ البابا كيرلس الكبير عمود الدين يدرك تمامًا أنه المؤسس الحقيقي للإيمان الأرثوذكسي والحامي له حتى وقت طويل جدًا، وانتصرت إرادة الكنيسة في الإسكندرية والتي كان يؤيدها غالبية العامة، وأعلن الإمبراطور تاؤدسيوس حرم نسطور وتعاليمه ووضع مقدمة قانون الإيمان .

ارتبط التاريخ المسيحي بالإمبراطورية الرومانية إذ كانت روما في القرن الأول ق م هي القوة المهيمنة على البحر المتوسط، واستطاعت أن ترث إمبراطورية الإسكندر الأكبر المقدوني وتوسعت الإمبراطورية الرومانية في القرن الأول الميلادي في عهد الإمبراطور تراجان إلى أقصى حدودها، وكانت تلك أشبه بفترة سلام واستقرار عالمي فقامت روما بمد الطرق البرية والبحرية وتشجيع التجارة بين الشرق والغرب، فالعالم صار تحت قيادة ولغة وعملة موحدة. فساعدت هذه العوامل على انتشار المسيحية بدليل كتابة الإنجيل باللغة اليونانية. ولقب الإمبراطور بلقب قيصر وورد ذكر القيصر في الأناجيل في مواضع كثيرة، ووردت بعض أسمائهم مثل أغسطس وطيباريوس ونيرون. من أهم الأباطرة الذين تزامن عهدهم مع أحداث تاريخية مؤثرة كولادة المسيح في عهد أغسطس وصلبه في عهد طيباريوس الذي طرد اليهود من روما والذي خلفه كاليوجا أقام تمثالا ضخمًا لنفسه في قلب أورشليم مما أغضب اليهود جدًا. وفي عهد كلوديوس أعلن اليهودية ولاية رومانية عام ٤١ م ووسع الإمبراطورية في عهده، ومن بعده نيرون المشهور بحرق روما عام ٦٤ م وألصق التهمة بالمسيحيين للتخلص منهم وأذاقهم أصناف العذاب والاضطهاد، وورد عنه في أعمال الرسل (أع ٢٥ :٢١)(ولكن لما رفع بولس دعواه لكي يحفظ لفحص أوغسطس أمرت بحفظه إلى أن أرسله إلى قيصر) و(أع ٢٦ :٣٢) (وقال أغريباس لفستوس كان يمكن أن يطلق هذا الإنسان لو لم يكن رفع دعواه إلى قيصر) وكان من ضحايا نيرون القديسين عام ٦٨ م استشهاد القديسين بولس وبطرس الرسولين، ومما ورد عن ذلك في أع ٢٥ قصة مقتل بولس (فعرض له رئيس الكهنة ووجوه اليهود –

وجهاؤهم وكبراؤهم – ضد بولس والتمسوا منه) ، (فلما حضر وقف حوله اليهود الذين انحدروا من أورشليم وقدموا على بولس دعاوى كثيرة وثقيلة لم يقدروا أن يبرهنوها إذ هو يحتج أني ما أخطأت بشئ لا إلى ناموس اليهود ولا إلى الهيكل ولا إلى قيصر)، (لكن كان لهم عليه مسائل من جهة ديانتهم وعن واحد اسمه يسوع قد مات وكان بولس يقول إنه حي)، (فقال فستوس أيها الملك أغريباس والرجال الحاضرون أجمعون أنتم تنظرون هذا الذي توسل إلى من جهته كل جمهور اليهود في أورشليم وهنا صارخين إنه لا ينبغي أن يعيش بعد). عام ٦٩ أصبح فسباسيان إمبراطورًا وأرسل ابنه تيطس الذي صار إمبراطورًا من بعده إلى أورشليم عام ٧٠ م لإخماد ثورة اليهود فخربها تمامًا ودمّر الهيكل وحمل كنوزه إلى روما بعد أن هدم أورشليم تمامًا، وتم رفعه لمرتبة الآلهة بعد موته من قبل مجلس الشيوخ، وجاء بعد تيطس دوميتيان الذي اضطهد المسيحيين بشكل كبير وأمر بإلقاء يوحنا الحبيب اللاهوتي تلميذ المسيح في الزيت المغلي. لم ينته تاريخ الاضطهاد فدقلديانوس خير دليل على ذلك، فقد أصدر في ٣٠٢ م مراسيمه التي تقضي بحرق الأناجيل والكتب الدينية ومنع المسيحيين من التجمع وهدم الكنائس وحبس رجال الدين وصادر أملاك الكنائس وقتل المسيحيين فمزقت أجسادهم بالسياط والمخالب الحديدية، والنشر بالمناشير، والتمشيط بين اللحم والعظم، والإحراق بالنار، وبلغ الاضطهاد والتنكيل بالمصريين حدًا كبيرًا فسمي عصره بعصر الشهداء، وبني عمود السواري – أعلى نصب تذكاري في التاريخ – تخليدًا لهذه الذكرى واعتبر توليه بداية التقويم القبطي، وأرغم المصريين على عبادة الأوثان أو يُقتلون، بل إنه جعل من نفسه إلها وطالبهم بتقديم القرابين والسجود لتمثاله، وقتل مكسيميان شريكه الكتيبة الطيبية – الأقصرية – كلها لرفضهم القسم باسمه أثناء توجههم للحرب وإنهاء المسيحية في بلاد الغال، ويذكر المؤرخ ترتيليان أن كفة شهداء مصر ترجح على كل شهداء العالم وقدر عددهم بين ١٠٠ الف و ٨٠٠ ألف شهيد .

ولكن أيام المذلة لا تدوم للأبد، ففي عام ٣١٢ م أصدر قسطنطين مرسوم ميلان الذي ينهي اضطهاد المسيحيين، وعام ٣٢٤ تم اعتماد المسيحية دينًا للإمبراطورية الرومانية إلى عام ٣٩٤ حيث أعلن الإمبراطور ثيودوسيوس العظيم المسيحية دينًا وحيدًا وقام بحظر

الوثنية، وقد أمر بحرق مكتبة الإسكندرية وإلغاء الألعاب الأوليمبية ظنًا منه أنها تحوي أفكارًا أو طقوسًا وثنية حتى إنه أمر بنقل مسلة تحتمس الثالث من طيبة إلى القسطنطينية وحظر التنجيم وحارب علم الفلك والفلسفة وغيرها، وحوّل الكثير من المعابد إلى كنائس، ويعتبر آخر إمبراطور للدولة الموحدة قبل أن تنقسم بوفاته إلى قسم شرقي عاصمته القسطنطينية وآخر غربي عاصمته ميلانو تحت حكم ولديه اللذين قسّم الملك بينهما. ولكن كان لذلك أثر سلبي إذ طغت السياسة على الدين وتدخل الأباطرة في شؤون الكنيسة.

بعدما نقل قسطنطين العاصمة إلى القسطنطينية علا شأنها وصارت المدينة الأولى بعد روما وهذا يعني ارتفاع مكانة كنيستها وراعيها لتزيح منافستها الكبرى كنيسة الإسكندرية. ولم تكن المكانة السياسية وحدها بل ظهرت شخصية أثرت كثيرًا في مجرى التاريخ وهو القديس يوحنا فم الذهب الذي ظهر في أنطاكية وتعلم مختلف العلوم والفلسفة والحكمة اليونانية، وكان خطيبا بارعًا حتى صار بطريركًا للقسطنطينية. وصل للرهبنة عام ٣٨٠ م إلى أن صار أسقفا ٣٩٨م. قال عنه أبرز خطباء عصره الفيلسوف – الوثني – ليبانيوس عندما سأله تلاميذه عمن يخلف بعده فقال يوحنا فم الذهب لولا أن المسيحيين سلبوه منا. ورغم سيرته الكبيرة وأعماله الخيرية الكبرى فقد كان نصير الفقراء وأحد أكبر الوعاظ على مر التاريخ الكنسي، إلا أن إصلاحاته الإدارية في الكنيسة كانت واضحة حيث سن القوانين للقساوسة والرهبان، وكانت تعاليمه وعظاته قاسية جدًا على الأرستقراطيين واصطدم معهم أكثر من مرة. وله قصة شهيرة جدا مع ثيوفليس أسقف الإسكندرية – عرفه الكثيرون بأسوأ بابا في التاريخ – والغريب أنه تولى الأسقفية في حفل كان يرأسه ثيوفليس ولكنه كره القديس يوحنا جدًا وظنه متكبرًا، هذه القصة المعروفة تاريخيا بإخوة الطوال وكانوا ٣ رهبان إخوة مصريين عانوا من ظلم ثيوفليس لهم وحرمانهم حقوقهم ففروا إلى القسطنطينية تحت حماية القديس يوحنا لعدالة قضيتهم. استغلت الإمبراطورة الشريرة هذه القضية لكراهيتها الشديدة للقديس يوحنا بعد أن انتقدتها وصاحباتها لمخالفتها القوانين الكنسية فأرادت التخلص منه، وفعلاً تم عقد مجمع كنسي وعقدت للقديس يوحنا محاكمة وكان رئيس المجمع ثيوفليس وصدر الحكم ضده غيابيا – يري كثيرون أن المجمع غير شرعي وغير قانوني – بالنفي، وهرب مخافة الفتنة،

ولكن الشعب عرف فثار ثورة عارمة وشعرت الإمبراطورة بالأرض تهتز من تحتها وأن ملكها يهدد وأن الله سينتقم منها لمعاداتها الرجل الصالح. وتمت إعادته من منفاه وبعد العودة دبروا له مكيدة عندما دخل الكنيسة ليلقي العظة فدخل عليه الجنود وأمروه بتركها والخروج منها ورفض فصارت مقتلة عظيمة وأنهارًا من الدماء. تم اختيار نسطور بعده للكرسي القسطنطيني، ولكن إرادة الله أن يعوض الإسكندرية عن ثيوفليس بقامة كبيرة وعملاقة وهو البابا كيرلس الكبير، وقصته مع نسطور معروفة والتي انتصر فيها البابا كيرلس. لم يكن البابا كيرلس هو الشخصية الوحيدة البارزة في التاريخ البابوي السكندري واثرت في العالم، ولكن ظهر بعده – على سبيل المثال لا الحصر – قداسة البابا ديسقورس وهو البابا ٢٥ وعرف ببطل الأرثوذكسية. بعد مجمع إفسس ٤٣١ ذكر كثير من المؤرخين أن الكتب المعتمدة فقط كانت تحمل إلى البلاد كلها وغيرها يمنع ويتعقب بالسجن أو الحرق أو المنع للكتب وأصحابها في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الملك بالملك الأرثوذكسي الراحل عام ٤٥٠. كل هذه الأحداث أشعلت جدلاً لاهوتيًا واسعا حول طبيعة المسيح. وكانت المؤامرات تحاك ضد مصر وكنيستها وكان لاون أسقف روما رأس الحربة في الفتنة وسعى لدى الإمبراطور وزوجته للإيقاع بديسقورس. وفي ٤٣٥ بتولي هيبا أسقفية الرها وهو تلميذ كبير لنسطور زاد الجدل. ليدخل ثيؤدورت أسقف قورش على الخط – كان مناصرًا لنسطور معاديًا للبابا كيرلس واستمر في عدائه لديسقورس. وقصته مع أوطيخا المهرطق معروفة للجميع وتصديه له حتى تم إعادة اعتبار أوطيخا في مجمع إفسس ٤٤٩ م- برئاسة الأنبا ديسقورس- عندما رجع عن آرائه. وهذه المكانة الكبيرة للبابا ديسقورس ظهر أمامها تبجح وإهانات تنم عن غيرة وحقد من لاون أسقف روما، فكان يصفه بالسفاح المصري وبلغ الصراع ذروته في مجمع خلقيدونية ٤٥١ حيث عقدت المؤامرة ونصب الشيطان شباكه وصدر الحكم غير الشرعي وغير القانوني بنفي ديسقورس بعد عقد جلسة ثانية سرية لم يحضرها، وفي الجلسة الأولى تغلب عليهم جميعا بحسن حجته وحكمته وقوة إيمانه وكان للإمبراطورة دور كبير في الحكم المدلس.

في التاريخ المصري من هم أفضل من غيرهم على مر التاريخ، فأنطوان الكبير كوكب البرية وأبو الرهبان يعتبر المؤسس التاريخي للرهبنة وأول راهب في التاريخ كله.

وفي تاريخ الشهداء يظهر القديس مينا العجائبي كأشهر شهيد في التاريخ المصري وحتى خارج مصر، وكانت له عجائب وكرامات كثيرة وقُتل ٣٠٩م عن ٢٤ عامًا فقط بعد جلد بسياط من جلد الثور وتم تقطيعه بالمنشار وضربت رأسه ثم أحرقوه بالنار. خاضت الكنيسة القبطية معارك فكرية على مر التاريخ، ففي عهد الإمبراطور يوليان ٣٣١ قبل أن يستقر الأمر للمسيحية كديانة وحيدة ظهر الجدل المسيحي الوثني وحاول يوليان أن يعيد الوثنية للإمبراطورية واضطهد المسيحيين جدًا فأسموه يوليان الجاحد، ووضع ٣ كتب ضد المسيحية (ضد الجليليين) كانت مفخرة الشباب الوثني وشككت في يسوع وتلاميذه وبركاته، فرد عليه البابا كيرلس الكبير في مصنفاته الشهيرة. استمرت الكنيسة القبطية تدافع عن إيمانها الأرثوذكسي وتعاني من اضطهاد الروم الذين سعوا لفرض ملتهم على المصريين الذي بلغ مداه في عهد هيرقلوس البيزنطي حتى جاء نبي الإسلام وأشرق نوره وأصحابه، وقد توثقت علاقة مصر بهم من قبل بعثة النبي ولكنها توثقت في عهد سيروس اليوناني (المقوقس) زعيم القبط كما يعرفه العرب. والأنبا بنيامين الأول الذي عاد من مخبئه بالصعيد ليمارس سلطته ويحيي الكنيسة الأرثوذكسية من جديد بالفتح العربي لمصر بقيادة عمرو بن العاص في زمن الخليفة عمر بن الخطاب. وفي العصر الحديث ظهر حكماء كثيرون اشتهروا بكتاباتهم كالأب متى المسكين والبابا كيرلس السادس والقمص عبدالمسيح بسيط.

أسئلة وأجوبة عن الإيمان

تعتبر عقيدة الثالوث من أهم العقائد في المسيحية وإن كانت المسيحية لم تنفرد بعقيدة الثالوث ولكن المسيحية انفردت بمفهومها الخاص عن الثالوث وحدها فلا يتشابه الثالوث المسيحي مع غيره. فالثالوث هو أن الله واحد موجود بذاته حكيم بعقله حي بروحه وهي صفات ذاتية لله لا يمكن أن تكون ناقصة (كاملة في ذات الله). حتى إنه ورد في القرآن أن المسيح هو كلمة الله وروح منه. وذكر عدد من كبار المفسرين للقرآن في سورة آل عمران ٣٩ فيحيى– يوحنا المعمدان – أول من آمن بالمسيح وقال بعضهم إن مريم لما حملت بعيسى حملت أختها أيضًا بيحيى فجاءت أختها زائرة فقالت يا مريم أشعرت أني حملت؟ فقالت لها مريم أشعرت أنتِ أني حملت؟ فقالت لها: وإني لأجد ما في بطني يسجد لما في بطنك. والفارق بين الإسلام والمسيحية يوضحه فصوص الحكم لابن عربي بقوله إن الكلمة من صفات الله وتعني الحكمة أما في المسيحية فتعني الله متجسدًا. فالكلمة– لوجوس– في الثالوث هي عقل الله الناطق. أما الروح في القرآن فهي كل خلق نوراني لله جعل منه حياة مثل آدم والمسيح والملائكة، أو تاتي بمعني أمر الله وأحيانا يختص بكلمة الروح (روح القدس) جبريل أمين الوحي الذين يترل كلام الله على الأنبياء، فكان جبريل ناقلاً لكلام الله لمريم كما ينقل الرسول كلام الله لأمته وعن إحيائه الموتى بإذن الله لأنه روح إلهي، وكان الإحياء لله والنفخ لعيسى كما كان النفخ لجبريل والكلمة لله. ولكن النظرة المسيحية للروح مختلفة حتى داخل الملل المسيحية، ولكن إجمالا فإن الروح هي ذات الله عندهم. ومن جهة أخرى هناك اتفاق بين الإسلام والمسيحية أن روح الله تعني حياته ولكن الخلاف أن في الإسلام الحياة هي صفة لله وليست ذاته كما في المسيحية، وهذا يؤدي إلى نفس المعنى الوارد في فصوص الحكم في الاختلاف بين المسيحية والإسلام (إن حياة المخلوق هي من عند الخالق الحي الذي تجلى بصفة الحياة على مخلوقاته فحياتهم محدودة بأمره ومشيئته وهو الحي الذي لا يموت). وبذلك يتضح أن الثالوث المسيحي على هيئة الآب هو الوجود (أصل الوجود) والكلمة هوعقل الله الذي ظهر في صورة بشر فلا ينفصل الله عن عقله، ثم الروح هو روح الله الحية مثل الإنسان لا يمكن أن

ينفصل عقله عن روحه عن جسده كوحدة واحدة متكاملة، ومن ذلك الدعاء (بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد). فالآب لها معان كثيرة (وأحيانا الأب) مجازًا أبو المخلوقات مثل قول بولس الرسول (لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء) فهنا تأتي بمعنى مصدر. وهناك المعنى الشرعي (القانوني) مثل التبني، فيكون الابن ليس بالميلاد. وفي الكتاب المقدس (رو ٨ :١٥ بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب). وهناك معنى جوهري مثل أن نقول النور يتولد من النار، ومعنى آخر روحي وهو (ليس أبا في الطبيعة ولكنها أبوة روحية) وهو المعنى الأشمل للمعاني كلها والأقرب لفكرة الثالوث، ففي (يو١: ١٣ :أن الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله – المقصود ولادة روحية –) فالمسيح ابن الله بالمعنى اللاهوتي ليس المعني التناسلي الجسدي فجاء في قانون الإيمان (يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور)، (مولود غير مخلوق مساوٍ للآب في الجوهر). أما المعنى الثاني للثالوث وهو الابن فلا تعني البنوة الجسدية التناسلية، وقد عرف العرب معاني أخرى لكلمة الابن منها الملازمة كما أورد الإمام النسفي في تفسيره عن ابن السبيل أي الملازم له. ووردت بمعنى الرعاية والمسئولية في الحديث القدسي (الفقراء عيالي) والمقصود في الثالوث هو المعنى اللاهوتي الروحي.

يعتبر مبدأ الفداء هو الأساس الأكبر في المسيحية، حتى أن الصلب وما استتبعه من قيامة وما يصاحبه من تعميد كلها لخدمة عقيدة الفداء المسيحي، فمنشأها هو العدل الإلهي. الفداء هو الخلاص للبشرية، بل إن هناك آراء تعتقد أن تجسد الله في صورة بشرية كان من أجل الفداء لأن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله، فلما عرف الإنسان الخطيئة وأكل من الشجرة انفصل عن الله أي انفصل عن الحياة (الأبدية) فوقع عليه حكم الموت، فلما أراد الله أن يخلص الإنسان جعل له فداء. وظهرت في التوراة في خروف الفصح اليهودي وحتى ذكرها القرآن في فداء إسماعيل، والأضاحي يقدمها المسلمون حتى الآن وعرفها العرب في قصة فداء عبد الله بن عبد المطلب والد النبي محمد. وكذا القرابين المكفرة عن الذنوب لبني إسرائيل في هيكلهم والهدي عند المسلمين في شعائر الحج. فاعتبرت المسيحية أن حكم الله بموت البشرية –(نتيجة المعصية) ويقصد بالموت دخولهم

النار فلا حياة أبدية لهم – لابد له من فداء لإزالة هذا الحكم، فكان مبدأ الفداء توفيقًا بين عدل الله ورحمته. فوضعت عدة شروط لهذا الفادي :

١– أن يكون غير محدود لأن الخطية غير محدودة؛ لأن الخطية تقاس بحق من أخطأ الإنسان في حقه وهو الله، فكان العقاب غير محدود. (الجرم في حق الله غير محدود ولذلك لابد من مخلص غير محدود وكل من على الأرض محدود فلابد من مخلص سماوي، فلا محدود إلا الله وهذه علة التجسد والصلب).

٢–أن يكون إنسانًا: فالمخطئون بشر ولابد أن يكون الفادي من نفس نوع المفديين (كفارة عن البشر لكي يعتبر قيامه قيامًا للبشر جميعا) ولذلك كان التجسد الإلهي في الإنسان عندما حل روح الله في العذراء وروح الله غير محدود .

٣–أن يكون طاهرًا من كل ذنب وخطية، فلا يكون مذنبًا لأن المذنب يحتاج من يفديه أصلاً. أكد الإسلام على بركة المسيح وأمه وطهارتهما واصطفاء الله عز وجل لهما في كثير من المواضع القرآنية والسنة النبوية الشريفة، فهو نبي وأمه صديقة. والكتاب المقدس بطبيعة الحال يمتلئ بأدلة طهارة المسيح من الخطايا والشرور وعلى بركته العظيمة.

وبركات الفداء كبيرة جدًا وكانت له نتائج عظمى جاء بها المسيح وهي:

١– لكى يغفر للبشر خطاياهم، فالمسيح وهو على عود الصليب قال اغفر لهم يا أبتاه المغفرة، وبعدها قال: قد أُكمل فغفر الخطية وفدى البشرية وضحى بنفسه فداءً عن كل البشرية.

٢–أعاد العلاقة بين الله وبين البشر، فعندما طرد آدم من الفردوس بسبب خطيته الأولى التي ورثها بنو آدم كلهم وكان الله مستعدًا للمغفرة والمسامحة لتحقيق سلامة وسعادة وراحة البشر، وقد ذكر الكتاب المقدس على لسان بولس الرسول في (٢ كو ٥ :١٩ أن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعا فينا كلمة المصالحة).

٣–إعطاء رحمته للإنسان، فبمقتضى رحمته خلصنا بالميلاد الثانى وتجديد الروح القدس فينا.

٤–إعطاء الإنسان الخلاص كما في رسالة بولس الرسول لأهالي إفسس٢ (٢ :٥ ونحن أموات بالخطايا أحيانا (أحياء) مع المسيح فبالنعمة أنتم مُخَلَّصُونَ) وفي (إف٢ ٢ :٨

لأنكم بالنعمة مخلصون وذلك ليس منكم هو عطية الله) ومن هنا جاءت الصلاة (صنعت خلاصاً فى وسط الأرض كلها عندما بسطت يديك الطاهرتين على عود الصليب خلاصًا).

٥-منح البشر الحياة الأبدية التي كانوا محرومين منها كما ورد في (رو ٦ :٢٣ لأن أجرة الخطية هي موت وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا) وفي (لو ١٢ :٣٢ لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت- ملكوت السماوات هو الجنة). ويفهم المسلمون نفس المعنى بطريقة أخرى وهي أن كل البشر حتى النبي محمد يدخلون جنة ربهم برحمته لا بأعمالهم كما ورد في الأحاديث.

٦-شفاعة المسيح للبشر عند الله ليرحم الله ضعفهم ويغفر ذنوبهم. وردت الشفاعة في الإسلام بشكل أكبر ومفصل أكثر.

٧-إحياء البشرية، وذلك بقيامته من الموت ليعطي حياة جديدة للبشر وبعدها حياة أبدية، وقد ورد في رسالة بولس كو٢ إصحاح ٥ (فنثق ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب)، (إنه إذا كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع إذًا ماتوا وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام)، (إذا إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت) الأشياء العتيقة تعني ما قبل المسيح ومنها الجسد العتيق أي جسد الخطيئة الذي ورثه البشر عن آدم، لذلك الله صنع لنا الفداء للخلاص والغفران والحياة الأبدية.

من وجهة نظر أخرى إن هذه المقدمات غير كافية للإيمان المسيحي، وأصحاب هذه الفكرة رأوا أن هناك إجابات عن الإيمان أكثر منطقية، فمثلا قضية العدل والرحمة، فلا يشترط أبدًا حدوث أحدهما دون الآخر، فتفضيل عدم تنفيذ العقوبة لا يتعارض مع العدل، فالله عدل عن تنفيذ العقوبة في عدة مواضع، وقد ذكر الكتاب المقدس أمثلة على ذلك كعبادة بني إسرائيل للعجل، ومدينة نينوى التي تاب أهلها فعفا عنهم، وفي الأناجيل أيضًا المسيح لم ينفذ العقوبة في المرأة الزانية، وقد علم المسيح العفو عن المسئ وبذلك يظهر أن العفو وعدم تنفيذ العقوبة لا يتنافي مع العدل بعكس مبدأ حتمية العقوبة في عقيدة الفداء. فبمقارنة الآيات في الكتاب المقدس(بعهديه) التي تتحدث عن وحدانية الله

وصفاته أمام الآيات التي ذكرت التجسد والصلب والفداء بكل تأكيد ترجح الكفة التي تتحدث عن الله وصفاته. فالعهد القديم لم يتحدث مطلقًا عن الفداء بشكل صريح، وكل ما يستدل به عن الفداء كان من باب التأويل(وأحيانا يتندر المعارضون للفداء على تلك التأويلات) وتحميل النص ما لا يحتمل. فمثلا قصة آدم وحواء لما انكشفت عوراتهما بعد الأكل من الشجرة ووقوعهما في الخطيئة جمعا ورق الشجر ليسترا العورة، ولكن ورق الشجر يذبل ويسقط، فصنع لهما الرب أقمصة من جلد والجلد يأتي من الذبيحة التي ترمز للفداء وهذا استدلال غير منطقي وغير دقيق لأن الله بقدرته لن يعجز عن خلق جلد بدون ذبيحة. وأيضًا قصة الفصح اليهودي وإنزال عذاب الله على المصريين بقتل الأبكار منهم فوضع بنو إسرائيل علامة من دم الخروف على بيوتهم حتى لا يدخلها ملك الموت والمقصود هنا الضحية (الذبيحة) أي أنها رمز للفداء، وهذه القصة لا تمت بأي صلة للفداء لأن ملك الموت لا يحتاج لعلامة لتنفيذ أوامر الله وإرادته، والحقيقة أن الأمر لبني إسرائيل كان آية وموعظة من الله للمصريين حتى يؤمنوا. وحتى ما يعتقد المسيحيون أنه رمز للفداء في تقديم اليهود قرابين ككفارات عن الذنوب ليست دليلا على الفداء بمفهومه المسيحي؛ لأن المسلمين يضحون كذلك ولا يعتبرون الفداء رمزًا للمسيح. حتى إن بعض المفسرين المسيحيين قالوا إن الفداء بالمفهوم المسيحي موجود في القرآن الكريم (المائدة ٣٢ :من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) واعتبروا أن الحكم نزل في بني إسرائيل تحديدًا لأنهم من قتل المسيح، وذلك أنهم قتلوا نفسًا بريئة طاهرة لم تفسد في الأرض، وهو استدلال باطل فاسد في غير محله لأن الآية لم تذكر ذلك وحتى لو النفس مذنبة وارتكب الإنسان ذنبًا فليس ضروريًا أن يكون عقابه القتل، كذلك ظهرت هناك إشكالية كبيرة بسبب (عب ٩ :٢٢ بدون سفك دم لا تحصل مغفرة) إن هذا النص موجود في الكتاب على أنه رسالة من بولس الرسول إلى العبرانيين، ولكن هذه الرسالة تحديدًا من أكثر مطاعن الكتاب المقدس و يشكك كثيرون في صحتها وأن كاتبها غير معلوم حيث إنها محذوفة من بعض الأناجيل مثل نسخة الكتاب المقدس الأمريكي الجديد طبعة ١٩٧٠. ويستشهد المعترضون بأن الله ليس متعطشًا للدماء ليغفر للبشر فالأصل في الإله الرحمة والغفران (فالذبيحة في الإسلام تسمى قربانًا للتقرب إلى الله بغير المفهوم

المسيحي) وهناك اعتراضات تاريخية كثيرة على الرسالة وأنها مكذوبة. وفند المعارضون لمبدأ الفداء بأن سفك دم البشر هو عقوبة وليس مغفرة كما في (تك ٦:٩ و عدد ٣٥ :٣٣) وكذلك الخطيئة لا تورث كما (حز١٨ :٢٠) ومغفرة الخطايا تكون بدم الحيوانات وليس البشر (خروج ٢٩ :١٤)، (لاويين٦ :٢٥)، (لاويين١٠ :١٧)، (لاويين ١٢ :٦) ومكفرات الخطايا كثيرة جدًا، فالتراحم يكفر الخطايا (متى ٩ :١٣) والتوبة تخلص من الخطايا (لوقا ١٣ :٣)،(مرقص ١ :٤)،(يونان ٣ :١٠)،(حز ١٨ :٢١-٢٢) بشكل عام فأعمال البر تغفر الذنوب وتخلص من الخطايا كالصدقة (طوبيا ٤ :١١)، (طوبيا ١٢ :٩)، (لو ١١ :٤١) وكذلك الصلاة (أخبار الأيام الثاني ٧ :١)، (أمثال ١٥ :٨) وأيضًا بر الوالدين وصلة الأرحام (يشوع بن سيراخ ٣ :٤)،(أمثال ١٢ :٢٨). بعض المفسرين فسروا عقيدة الفداء تفسيرًا عقلانيًا أي أن الفداء المقصود به العبادة وليس التضحية كما جاء في رسالة بولس الرسول في (رو ١٢ :١ فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية) ومن هنا رأى المعارضون للفداء أن الضحية ليست هدفا في حد ذاتها، وإنما الهدف أن يبدأ الإنسان حياة جديدة مع الله بدون خطايا وينهي حياة المعصية (الحج ٣٧ :لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخّرها لكم لتكبّروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين) وبذلك يختلف الفداء في الإسلام عنه في المسيحية إذ وضع القرآن مبدأ وهو التضحية بالأدني من أجل الأعلى كتضحية الأمم بشهدائها في الحرب للمصلحة العليا والتضحية بأصبع في سبيل المحافظة على اليد والتضحية باليد للمحافظة على الذراع والتضحية بالذراع في سبيل الحفاظ على الجسد وليس العكس. ليُعلّم الإنسان التضحية بشهوات نفسه من أجل هدف أعلى هو مرضاة الله وليس العكس، فلا تكون التضحية بالأعلى من أجل الأدنى فكيف يضحي الله بابنه من أجل الإنسان الخاطئ. وهنا يرى المؤمنون بالفداء أن تلك التضحية هي المحبة التي يعطيها الله للبشر.

وجه الكثير من الباحثين انتقادات لعقيدة الفداء واعترضوا على مبدأ الحكم بالموت الأبدي في النار نتيجة المعصية الأولى لآدم وكذلك فكرة قياس الخطيئة بحق المساء إليه وأن هذا يتنافى مع العدل ومع العقل أيضًا بفرض أن شخصين متفاوتين (في العمر أو المكانة

الاجتماعية) قاما بنفس الخطأ في حق شخص ما لا يمكن أن يكون نفس العقاب لكليهما، بالتأكيد سيختلف العقاب. وكذلك فكرة التعويض في حال الخطأ لا تكون إلا لناقص والله كامل لا يضيره معصية البشر، وهذا فهمه المسلمون من الحديث القدسي (إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ...ما زاد هذا في ملكي شئ ...ما نقص ذلك من ملكي شئ) فالله هو الغني الكامل والبشر فقراء محتاجون إلى رعايته و نعمته، ورد في (خروج ٣٤ :٦ الرب إله رحيم ورؤوف وبطئ الغضب وكثير الإحسان والوفاء حافظ الإنسان إلى ألوف غافر الإثم والمعصية والخطية) وأطلق البعض تساؤلات حول الفداء من أبرزها لماذا التجسد البشري من لوازم الفداء؟ ووجدوا تعارضًا بين فكرة التجسد ومبدأ توارث الخطيئة لبني آدم وما جاء في (لو ١ :٣٥ الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك) فالفادي لابد أن يكون طاهرًا بلا خطيئة فإذا كان كل بني آدم ورثوا الخطيئة بالجسد فهناك احتمالان أن العذراء ورثتها عن آبائها وبالتالي ورثها المسيح فلا يصلح أن يكون فاديًا (لأنه ورث الخطيئة) والاحتمال الآخر أن العذراء تطهرت من الخطيئة كما ورد في الآية من سفر لوقا فلماذا لم تحل روح الله على آدم وتطهره من الخطيئة ؟؟ ولماذا الانتظار كل هذه القرون حتى ظهور المسيح ؟؟ ولهذا لم يقتنع كثيرون بفكرة وراثة الخطيئة والحكمة من التجسد واستدلوا على هذا الرأي من سفر أيوب ٢٥ :٤ (فكيف يتبرر-يصير بارا وصالحا – الإنسان عند الله وكيف يزكو مولود المرأة) وفي أيوب أيضًا (من يخرج الطاهر من النجس لا أحد) بل إن يسوع اعترف بعدم طهارته في (مرقس ١٠ :١٧ وبينما هو خارج في الطريق ركض واحد وجثا له وسأله: أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة؟ فقال له يسوع: لا تدعُني صالحًا ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله) فلو كان هذا هو الناسوت فكيف يحل اللاهوت في جسد غير صالح؟ ومن هذا يتضح أن يسوع كان خاطئا بدليل المعمودية التي قام بها يوحنا المعمدان له (مرقس ١ :٤)

والغريب ما جاء عن يسوع قوله لأمه في (يو ٢ :٤ مالي ولك يا امرأة) وورد أيضًا عن خطايا يسوع سبه للناس عندما طلبوا منه آية من الله (متى ١٢ :٣٩ جيل شرير وفاسق) وكذلك مع رؤساء الكهنة من اليهود في (متى ٢٣ :١٣ ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون)، (متى ٢٣ :٣٣ أيها الحيات أولاد الأفاعي) وفي (يو ١٠ :٨ جميع

الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص)، (متى ١٠ :٣٤ ما جئت لألقي سلاما بل سيفا) ومن أعجب ما جاء عنه في القصة المشهورة مع المرأة الزانية التي دهنت قدميه بشعرها وغير ذلك كثير من اتهامات بالجبن والجنون وأخرى معاكسة بالإرهاب والعنف في مواضع أخرى وإن كان المسلمون والمسيحيون يؤمنون بطهارة ونقاء المسيح وكل الأنبياء وأفضليتهم وسيظل الجدل والخلاف حول هذه النقاط والمسائل موجود بين مؤمن بالفداء المسيحي ومعارض له.

obeikan.com

الوجه الآخر للمسيح

هناك من رأى وجهًا آخر للمسيح فلم يهتم بكل الإشكالات المتعلقة بأفكار اللاهوت والناسوت والأقانيم وإنما نظر للقيمة الروحية للمسيح كشخصية إصلاحية اجتماعية من الطراز الأول. فشخصية يسوع ذات طابع ثوري تجديدي تنويري تحمل قيمًا عليا غير كل من سبقوه من اليهود والأمم في العالم وقت ظهوره حيث كان عهده عهدًا جديدًا بكل ما تحمله الكلمة من معان، كأنه ثورة على الماضي بكل ما فيه، قال يسوع (لو ٤ :١٨روح الرب نازل عليّ لأنه مسحني وأرسلني لأبشر الفقراء وأبلغ المأسورين إطلاق سبيلهم والعميان عودة البصر إليهم وأفرج عن المظلومين) وقال في (متى ١١ :٢٨- ٢٩ تعالوا إلى جميع المتعبين والمثقلين بالأحمال وأنا أريحكم، احملوا نيري عليكم و تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة نفوسكم) لقد جاء يسوع بالأساس إلى الشرائح المضطهدة والمهمشين رافعا راية العدل المفقود فلم يلق أي تعاطف من الأغنياء، ففي (متى١٩ : ٢٣ إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السماوات. إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله) ووضح بشدة نزعة التغيير والإصلاح عنده وكان الفساد الأكبر في بني إسرائيل لأنهم يعرفون حق الله ولا يؤدونه ويكتمونه ويعصون أوامر السماء، ففي (متى ١٩ :٢٨ إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر) ويستمر خط التجديد والإصلاح واضحا حتى يشمل أفكار الناس النمطية ليغيرها (متى ١١ :١٨-١٩ لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولايشرب فيقولون فيه شيطان جاء ابن الإنسان –يسوع- فيقولون هو ذا إنسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة) فسأل بعض الكتبة والفريسيين لماذا يجلس مع الخاطئين ويأكل معهم فقال لهم (مر ٢ :١٧ ما جئت لأدعو الأبرار بل الخاطئين) فأراد لفت الناس عن ملوك الدنيا إلى الملك الأعلى كما في (لو ٢٢ :٢٤-٢٦ إن ملوك الأمم يسودونها وأصحاب السلطة فيها يريدون أن يدعوا محسنين أما أنتم فليس الأمر فيكم كذلك بل ليكن الأكبر فيكم كالأصغر والمترئس كالخادم) بل وطالبهم بقطع صلتهم تماما

بحياتهم القديمة والاستعداد للعالم الجديد (متى ١٠ :٣٩ من وجد حياته يضيعها ومن فقد حياته في سبيلي يجدها).

وهذه الرؤية المختلفة للمسيح ورسالته كمعلم أو مصلح يعتقد أصحابها أن هناك خللاً واضحًا بين تعاليم المسيح وسلوكياته وما يناقضها من قيم المجتمع القديم كالوثنية التي لا روحانية فيها و التقاليد اليونانية القديمة وعباداتها الشكلية و مثلها صارت الشريعة التوراتية القاسية الجامدة بفضل الكهنة و علماء بني إسرائيل الذين قيدوا الفكر السماوي الخاص بالأنبياء السابقين كموسي وداود وسليمان وحولوا اليهودية إلى شريعة بالية ممسوخة تهتم بتفاصيل الطقوس لتتحول العبادات إلى شكليات دون الهدف الحقيقي والمعني الروحي التعبدي منها .فقد حاول اليهود الانفراد بديانتهم عن باقي البشر وحافظوا على طقوسهم بشدة مما أنتج تسلسل كهنوتي تبعه أيضًا طبقية اجتماعية كريهة وبهذا صارت الشريعة اليهودية حاجزا أمام التقدم والتطور الفكري وحتى أنها أضعفت مقومات الإيمان الروحي فمجئ المسيح كان للأمم كلها ليس لجماعة وحدها دون الآخرين فأنتج هذا طريق آخر للوصول إلى الحقيقة وهو الغنوص (كلمة يونانية تعني المعرفة، والغنوصية مذهب يقوم على الفلسفات الباطنية والتأمل لمعرفة الغيبيات والغنوصيون هم العارفين بالله) وجد الغنوصيون أنفسهم في حيرة كبيرة بين (يهوه) إله العهد القديم وبين تعاليم المسيح في العهد الجديد فالمفترض أن يسوع جاء لإكمال ما قبله من نبوة بني إسرائيل وقوله المشهور (متى ٥ :١٧ لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل) ولذلك جمع المسيحيون العهد القديم مع أناجيلهم في كتاب واحد وصاروا يتعبدون به. أصحاب المذهب العقلاني بدأوا بتعقب النصوص وتحليلها ومقارنتها لما لها من أهمية كبرى إذ أن يسوع لم يترك تراثا مكتوبا بل رسائل شفوية لقد تكلم وعاش وكانت الجماعة المسيحية الأولي تتناقل أقواله وسيرة حياته كما وصلت إليهم عن طريق تلاميذ يسوع الذين رأوه و سمعوه ومارسوا تبشيرهم في هذه الظروف ومات هذه الجيل واختلف الكهنة فظهرت الحاجة لتدوين تعاليم المسيح بهدف تثبيت المعتقد المسيحي وحمايته ويتضح أن إنجيل مرقس كان أقدم الأناجيل تم تدوينه ٧٠ م تلاه إنجيلا متى ولوقا بين ٨٠ و٩٠ م ثم يوحنا بين ٩٠ و ١١٠ م بالطبع لم تكن فقط هذه هي الأناجيل الموجودة هذه الأربعة

هي فقط القانونية من قبل الكنائس ولكن كان هناك أناجيل ورسائل أخرى كانت موجودة لم تعتمدها الكنيسة واعتبرتها منحولة ولكن هذه النصوص القديمة كان لها تأثيرا كبيرا على التراث الثقافي الديني والاجتماعي والثقافي المسيحي المرتبط بالعوام والبسطاء من المسيحيين مما اعتبره البعض تقاليد أو عادات ظل هذا الاثر حتى الآن .وجد غالبية تلك النصوص في الحفائر الأثرية أو ما ورد عن إحراق كنائس الطوائف الأخرى وقتل أتباعها على اعتبار أنهم مهرطقين فقام كثير منهم بإخفاء أناجيلهم الممنوعة وعثر عليها لاحقا بالصدفة ومنها مكتبة نجع حمادي الغنوصية في مصر وجمعها المرحوم د.طه حسين لما كان وزير المعارف ووضعت في المتحف القبطي حتى الآن ومكتوبة باللغة القبطية وأشهرها إنجيل توما ووجد قبل ذلك ما يعرف بإنجيل مريم المجدلية كنص غنوصي مهم ولكنه أبوكريفا (غير قانوني) لا تعترف به الكنائس، وكذلك ما يعرف بإنجيل يهوذا الذي أثار اكتشافه في المنيا صدىً دوليًا وأثار جدلا كبيرًا وغيرها في أماكن متفرقة ثبت صحة بعضها تاريخيا مثل اختلاف الكنائس على رسالة المكابيين الثانية فتجدها في أناجيل وأخرى لا تجدها. الأناجيل المعتبرة الموجودة حاليا يمكن تصنيفها إلى ثلاثة إزائية (متى ومرقس ولوقا) في حين أن يوحنا يبقى منفردًا في نظرته وسرده.

أقدم إشارة لمتى ومرقس باعتبارهما مولفين لإنجيلهما تعود لأوزيبوس القيساري في القرن الرابع استنادا لآراء بابياس في القرن الثاني، حيث قال بأن متى أول من جمع تعاليم يسوع ووضعها في كتاب اسمه لوجيا (الأقوال) وهناك من يشكك في أن هذا الكتاب (الأقوال) هو نفسه إنجيل متى تلميذ يسوع وعلى أي حال يتضح أن كاتبي الأناجيل قد جمعوا مجموعة أقوال وأفعال ليسوع في مناسبات وظروف متعددة ووضعوها في إطار من الأحداث المتسلسلة (بعض الأناجيل الأبوكريفا تحتوي فقط على عظات وأقوال دون هذا الربط بينها) يذكر بابياس عن مرقس أنه كان مرافقا لبطرس في رحلاته للتبشير وأن مرقس قد دون كل ما رأى وسمع من بطرس وهذا لم يحدث؛ لأن مرقس لم ير أو يقابل بطرس في حياته أصلا. ولوقا لا تتوفر عنه معلومات محددة باستثناء ما ورد عنه في أعمال الرسل. ويرى كثير من الباحثين أن مؤلفي الأناجيل الإزائية لم يروا يسوع ولم يسمعوا منه إنما دونوا أناجيلهم باليونانية بعد فترة من وفاة يسوع. ويستدلون على ذلك بأخطاء في

الأماكن والجغرافية لفلسطين في هذا الوقت حيث ورد في (مرقس ٥ :١ ،لوقا ٨ :٢٦) التي تروي قصة ممسوس في كورة الجدريين وهي بلدة في الجليل ورقاه يسوع وطرد منه الشياطين وسكنت في أجسام الخنازير فاهتاجت الخنازير واندفعت من على الجرف إلى بحر الجليل وغرقت، والحقيقة أن المسافة بعيدة جدا بين بلدة جدرة وبحر الجليل. الأمثلة لذلك كثيرة جدا أصر الكهنة الأوائل على صحة الأحداث وأماكنها وقاموا بتأويل النصوص وأحيانا باستخدام شواهد تاريخية أخرى وأحيانا الاستدلال بنصوص في أناجيل أخرى إذ يوجد تعارض بين الأماكن بين الأناجيل وبعضها وهذا يضعنا أمام إشكالية أنه بغض النظر عن صحة الأحداث وأماكنها فإننا أمام عدم دقة في التدوين – على الأقل إن لم يكن أخطاء- وإن حاولت كل كنيسة فيما بعد ذلك أن تضع تفسيرات أكثر منطقية وأكثر إقناعا لهذه النصوص وأحيانا تأخذ نصا من أحد الأناجيل دون نص آخر عن نفس الحدث، على كل حال تبقى هذه المسائل لا تمس أو تغير من الإيمان أو العقيدة والملاحظ الجيد يجد أنه تتشابه الأناجيل الإزائية في تسلسل الأحداث وأنها تعكس وجهة نظر متطابقة عن حياة يسوع ولكن هناك اختلافات في الصياغة وتناول الأحداث، فمثلا إنجيل مرقس الأشد اختصارًا فبدايته ظهور يوحنا وتعميده للناس متجاهلا ميلاد يسوع وطفولته ونسبه بعكس الإنجيلين الآخرين الذين تحدثا بروايتين مختلفتين عن الميلاد. ينفرد إنجيل لوقا بقصة يسوع وهو طفل يناقش كهنة الهيكل. يزيد طول إنجيل متى على ٦٠ % من طول إنجيل مرقس ولوقا يزيد ب ٧٠ % فالإنجيلان يشتركان في أحداث لم ترد عند مرقس الأمر الذي دعا بعض الباحثين أن يعتقدوا أن إنجيل مرقس تأليف أصلي مستقل اعتمده ونظمه كل من متى ولوقا كما في (مر ٨ ، متى ١٦،لو٩) وفسر البعض هذا بأن الإضافة التي انفرد بها متى تخدم أهدافه فالإعلاء من شأن بطرس على حساب بولس هو انتصار لكنيسة الختان على كنيسة الأمم، ولعل ما يلفت النظر أكثر هو مسالة الفروق الزمنية بين الأناجيل الإزائية في النسخ القديمة لإنجيل مرقس ينتهي بقصة النسوة اللاتي ذهبن للقبر وأخبرهن الملاك عن قيام يسوع من الأموات مما يرجح بأن ما ورد فيه (في النسخ الجديدة) عن ظهور متكرر ليسوع للتلاميذ أو ارتفاعه للسماء هي إضافات على النص الأصلي حيث لم يذكر مرقس أي شئ عن بداية حياة يسوع أو الولادة العذرية، أما متى فيبدأ بنسب يسوع من إبراهيم وتجاوز نهاية مرقس وتحدث عن ظهور يسوع بعد القيامة. أما

لوقا فيزيد أحداث أكثر من متى بالذات في النهاية عن ظهور يسوع بعد القيامة مثلا (متى ١ :٢٥ على أنه لم يعرفها — لم يضاجعها- حتى ولدت ابنها البكر فسماه يسوع) ووردت نفس الآية في الترجمة الكاثوليكية الجديدة (علي أنه لم يعرفها فولدت ابنا فسماه يسوع وفي الهامش تبرير لهذا الحذف مفاده أن مريم ولدت بكر بعد ولادتها يسوع) ويظن الغنوصيون وجود تأثيرات ومداخلات يهودية كثيرة على الأناجيل مما أفسدها وأخرجها من سياقها وروحها وعلى ذلك أمثلة كثيرة ومنها قصة الميلاد، فأسرة يسوع ليست أسرة جليلية متهودة بل هي أسرة يهودية من بيت لحم حيث ولد وقد ذكر متى (وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغيرة في ولايات يهوذا فمنك يخرج وال يرعي شعبي إسرائيل) وإن النبؤة الوحيدة في العهد القديم التي تتطابق مع ما ذكره متى هي (ميخا ٥ :٢ أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطا على إسرائيل) وبما أن بلدة أفراتة تقع في الجليل كما يذكر العهد القديم في (نك ٣٥ :١٦ وتك ٣٥ :١٩وتك ٤٨ :٧ وراعوث ١ :٢ وصم الأول١٧ :١٢) وإن ردت التفاسير المسيحية على هذا الرأي بأنه يوجد مدينتان اسمهما بيت لحم الأولى المعروفة حاليا وفيها بلدة أفراته (أفرات) والثانية زبولون بالقرب في الناصرة (التي يطلق عليها منطقة الجليل) ومستقر في التاريخ المسيحي أن مريم ولدت في الناصرة وأتت لبيت لحم وولدت هناك لأن لقبه يسوع الناصري أو الجليلي و لم يقبل المسلمون هذا التفسير فأيدوا الغنوصيين في وجهة نظرهم أن يسوع وأمه من بيت لحم بالقرب من أورشليم. ومما أثار الجدل والتساؤل (متى ١٢ :١٨ هو ذا فتاي الذي اخترته حبيبي الذي سرت به نفسي أضع روحي عليه) مشابها لـ (أشعياء ٤٢ :١هذا هو عبدي الذي أعضده) في التراجم العربية للإنجيل (فتاي) أما النصوص الأصلية اليوناني والعبراني كانت (عبدي) ويؤيد ذلك (عبدي) أيضًا بعض التراجم الإنجليزية.

عقيدة البعث والقيامة من أهم ركائز الإيمان المسيحي وبالطبع روتها الأناجيل وإن كان هناك اختلافات بين الروايات ويظهر هذا الخلاف واضحا بين مرقس ومتى فحتى بعض النسخ القديمة لإنجيل مرقس لم تتضمن الخاتمة الحالية (التي تروي قصة القيامة) تتحدث باختصار شديد عن القيامة تنتهي بشكل مفاجئ مع هروب النسوة الثلاث

مذعورات من القبر الفارغ بعد أن أخبرهن شاب بملابس بيضاء بأن يسوع قام من بين الأموات، وبمقارنة خاتمة مرقس المضافة لاحقا (يمكن التأكد من الإضافة بالعودة للنص الأصلي التي تعرف بالنسخة السينائية) مع خاتمة متى:

مرقس (الخاتمة الأصلية)	متّى
–ولما انقضي السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة طيبًا ليأتين فيطيبنه وفي غداة يوم الأحد جئن إلى القبر وقد طلعت الشمس وكان يقول بعضهم لبعض من تراه يدحرج لنا الحجر عن باب القبر فنظرن فرأين أن القبر قد دحرج وكان كبيرا جدا فدخلن القبر فأبصرن شابا جالسا عن اليمين عليه حلة بيضاء فارتعبن	–ولما انقضي السبت وبزغ فجر الأحد جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى تتفقدان القبر فإذا زلزال شديد قد حدث ذلك بأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء إلى الحجر فدحرجه وقعد عليه وكان منظره كالبرق وثوبه ابيض كالثلج فقال الملاك للمرأتين
– فقال لهن لا ترتعبن أنتن تطلبن يسوع الناصري الذي صلب إنه ليس هنا وهذا هو المكان الذي وضع فيه فاذهبن وقلن للتلاميذ ولبطرس أن يتقدمكم إلى الجليل فترونه هناك كما أنبأكم	– لا تخافا أنتما أنا أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب انه ليس هنا فقد قام من بين الأموات كما أنبأ تعاليا فانظرا الموضع الذي كان فيه مضطجعا وأسرعا في الذهاب إلى تلاميذه وقولا لهم انه قام من بين الأموات وها هو ذا يسبقكم إلى الجليل فترونه هناك
–فخرجن هاربات من القبر لما أخذهن من الرعدة والدهشة و لم يخبرن أحدًا بشئ لأنهن كن خائفات .	– فتركتا القبر مسرعتين وهما في خوف شديد وفرح عظيم وبادرتا إلى التلاميذ تحملان البشري .

مرقس (النسخة الحالية)	باقي نص متى
–قام يسوع صباح الأحد فتـــراءي أولا لمريم المجدلية تلك التي اخرج منـــها سبعة شياطين فمضت وأخبرت تلاميذه وكانوا في مناحاة ونحيب فلما سمعوا انه حي وأنها شاهدته لم يصدقوها وتراءى بعد ذلك بهيئة أخرى لاثنين منـــهم في الطريق ذاهبين إلى إحدى القري فرجعا وأخبرا الآخرين فلم يصـــدقوهما أيضًـــا وتراءى آخرا للأحد عشر أنفسهم وهم على الطعام فوبخهم بقلة إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصـــدقوا الـــذين رأوه بعدما قام وقال لهم اذهبـــوا في الأرض كلها وأعلنوا البشارة إلى الخلق أجمعـــين فمن آمن واعتمد يخلص ومن لم يـــؤمن يقضي عليه والذين يؤمنون تصـــحبهم هذه الآيات فباسمي يطردون الشـــياطين ويتكلمون بلغات مختلفـــة ويمســـكون بأياديهم الحيات وان شربوا شرابا قاتلا لا يؤذيهم ويضعون أيديهم على المرضي فيتعافون وبعدما كلمهم الرب يســـوع رفع إلى السماء وجلس عـــن يمـــين الله فذهب أولئك يبشرون في كل مكـــان والرب يعينهم ويؤيد كلامه بما يصحبه من الآيات .	–وإذا جاء يسوع قد جاء للقائهما فقال لهما السلام عليكمـــا فتقـــدمتا والتزمتا قدميه ساجدتين له فقال لهما يسوع لا تخافا اذهبا فقولا لإخـــوتي يمضوا إلى الجليل فهناك يرونني –وأما التلاميذ الأحد عشر فذهبوا إلى الجليل إلى الجبل الذي جعله يسوع موعدا لهم فلمـــا رأوه ســـجدوا لـــه ولكنهم بعضهم ارتابوا فدنا يســـوع إليهم وكلمهم قال إني أوليت كـــل سلطان في السماء والأرض فـــاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم به وها أنا معكم طوال الأيام إلى انقضاء الدهر .

اعتبر كثيرون إنجيل يوحنا حالة فريدة مختلفة عن باقي الأناجيل فالقارئ له يشعر بحالة مستقلة يظهر في الإطار الزمني واللاهوتي وأسلوب الصياغة، وكثيرا ما يختلف عن الإزائيين والاتفاق بينهم في الأحداث نادر جدا، وكأنه يقدم رسالة جديدة ليسوع فوضع الإزائيون سنة لحياة يسوع التبشيرية بينما يوحنا سنتين واختلفا في تاريخ يوم الصلب، وهناك شكوك في أن يكون يوحنا نفسه هو كاتب الإنجيل بسبب انقطاع أخباره قبل وقت طويل من فترة تدوين الإنجيل وأفاد بولس المتوفي ٦٧ م أن يوحنا من أعمدة كنيسة أورشليم، وهذا يعني أنه كان تجاوز المائة عام في وقت كتابة الإنجيل فلماذا انتظر كل هذا الوقت؟ والأكثر من ذلك أنه يصعب على يوحنا صياد السمك البسيط أن يكتب نصا مليئا بالحكمة والفلسفة اليونانية كالإنجيل الرابع. ليس من المهم تاريخ كتابة النصوص المقدسة طالما هناك مؤمنون بها لأن الإيمان هو الذي يبقي.

obeikan.com

الإسلام

المتابع لواقع المسلمين الآن وتصرفاتهم قد يفسر تلك الحال المزرية البائسة بأن تعاليمهم الروحية ومصادر دينهم هي السبب، فلو نظر بتمعن في التاريخ والتراث الإسلامي الثقافي والحضاري لوجد أن النصوص الدينية تختلف تماما في تعاليمها ورسالتها وأهدافها عن حال المسلمين اليوم. وهذا الاختلاف يعطي إحساسًا عجيبا يرقى لـيقين راسخ أن المسلمين لا يعرفون دينهم ولا كتابهم ولا رسولهم، فالمسلمون الأوائل يختلفون تماما عن المسلمين اليوم. وبقراءة متأنية للتاريخ نجد أن مسلمي الحاضر يشبهون كثيرا العرب والأمم المفتوحة قبل الإسلام ليس في العقيدة وإنما في طريقة التفكير وبالتالي في السلوك والمعاملة. الأمثلة على ذلك كثيرة جدا فما ورد من نصوص دينية في الإسلام من حريات وعدالة ومساواة وما فيها من حقوق للإنسان وحقوق للمرأة والأقليات لا نراها الآن، بل العجيب أن بعض الفرق والمذاهب الإسلامية تنكرها ولا تعتبرها من الدين فيضعون أنفسهم في مكانة أفضل من النبي محمد رسول الإسلام وكتابه وتعاليمه وما فعله أصحابه وأتباعهم في القرون الأولى للإسلام !!!!

الشئ الملفت جدا أن النصوص الدينية الإسلامية تسبق كثيرا في إنسانيتها ورحمتها وعدالتها تفكير كثير من المسلمين في الوقت الحالي، ويبدو أيضًا أنهم لم يستوعبوا ما استوعبه المسلمون الأوائل وبالتالي كان التطبيق العملي للإسلام سيئا للغاية بخلاف حقيقته التي فهمها الأوائل وعملوا بها متفوقين بجدارة عن المسلمين الحاليين. حاول بعض المسلمين تقليد النبي وأتباعه الأوائل باستحضار عصره، ولكنهم لم يفهموا المقصد من الرسالة فأنتجوا مسوخا بدون عقل لا تتفق مع روح العصر والحداثة مهدرين بذلك القيمة التي قامت عليها حضارة الإسلام وهي أن يعيش المسلم حياة النبي لا عصره. الإسلام هو رسالة في المقام الأول قبل أن يكون ديانة بها مجموعة تعاليم وأوامر فإنه رسالة تتخطى المسلمين لكل البشر بل وتتخطى البشر إلى جميع الكائنات الحية ولن نكون مبالغين إذا قلنا إن النبي محمد تأثر به حتى الجماد كالشجر والحجر والجبل والجن والملائكة. توجد أدلة ثابتة في التراث الإسلامي عن مواقف النبي مع كل هذه المخلوقات. وكما ذكرت فاتحة

القرآن وهي السورة العظمي للمسلمين (الحمد لله رب العالمين) والعالمين لها تفسيرات كثيرة أما أفضلها وأشملها أن العالمين هو كل ما دون الله. ووصف القرآن النبي محمد (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فرسالة الإسلام عالمية ويوجد به نصوص للتعامل مع غير المسلمين بل إن ما ورد في القرآن عن السابقين أكثر من شرائع الإسلام فقصة موسى وبني إسرائيل تكاد تكون مذكورة في كل أجزاء القرآن، وخصص القرآن سورة كاملة عن مريم العذراء وسورة لآل عمران وغيرها سور كثيرة للأنبياء، ويكرم الإسلام السيدة هاجر المصرية أم إسماعيل جد العرب ويسعي المسلمون الآن بين جبلي الصفا والمروة سبعة أشواط في مكة تخليدا لذكراها، وبمقارنة بسيطة لحال الأنبياء في التوراة والقرآن سنجد القرآن متفوقا على التوراة بكثير ويقدر الأنبياء ويعظم شأنهم جميعًا، فالتوراة تصف الأنبياء بأوصاف سيئة فإبراهيم ديوث ضعيف الشخصية ولوط يزني بابنتيه وسليمان لا يهمه إلا النساء بل قد يكون مات وثنيًا وداود شرير ماكر يقتل أبناءه ومتآمر وزانٍ وأولاده يطمعون في نسائه، والغريب أن التوراة تسئ للأمم الأخرى كالأردنيين والفلسطينين والعرب والعراقيين والشاميين وتصفهم بأن أصولهم منحطة وقلوبهم قاسية ولا يستحقون إلا دخول النار في الآخرة وأن يكونوا تحت ملك بني إسرائيل في الدنيا، ويذكر في التوراة قصص إباحية عن الأختين الزانيتين وتصف التوراة فحولة وقوة الرجال المصريين والعراقيين بلا أدني خجل ولا حياء إلى غير ذلك. تناول القرآن حياة المسيح على أنه آخر أنبياء بني إسرائيل وأنه يتميز بالحكمة وله معجزات وخوارق كإحياء الموتي وشفاء المرضى وكرمه الله بأن خلقه من مادة نورانية سماوية مثل آدم بنفخ الروح، فقد كان الوحيد من بني آدم الذي لم يمسه شيطان عند ولادته وذلك لسببين أنه نهاية عالم قديم وبداية عالم جديد كأن الله يعيد خلق البشر للمرة الأولى وهو يمهد لانقضاء أيام عهد الله مع بني إسرائيل بكفرهم قبل بعث النبي محمد، والسبب الآخر أنه مطهر ويسكن السماء قبل أن يترل إلى الأرض في نهاية العالم. ويعتبر المسلمون أنفسهم الحلقة الأخيرة في سلسلة الوحي الإلهي ولذلك يقدرون كل من سبقهم من رسالات وإن كانوا يفضلون المسيحيين على اليهود.

الإسلام دين أخلاقي سلوكي يضع شروط الإيمان في (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، (المسلم من سلم الناس من لسانه ويده) ، (الدين المعاملة) ، (الدين النصيحة) ،

(لا دين لمن لا أمانة له) ، (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له) ، (وتعاونوا على البر والتقوى) ، (الظلم ظلمات يوم القيامة) مما يدل على أن الإسلام جاء بمبادئ تغيير اجتماعية اقتضت الحكمة الإلهية أن لا يكون للعرب دولة ولا مملكة مجرد قبائل متناثرة متعادية في صحراء بعيدة لثلاثة أسباب منها أنها لن تكون مطمعًا لدول استعمارية وعدم الاستقرار كحياة زراعية أو ما شابه فيرتبطون بالجزيرة العربية ولا يخرجون لنشر الدين إلا قليلا و يكونون أهل حرب وقتال فينشأوا فرسانا أشداء. ويأتي الإسلام موحدًا بينهم مزيلا خلافاتهم موحدًا بينهم مساويًا بينهم فالإسلام دخل فيه السيد والعبد والغني والفقير ورسخ الإسلام أنه ليس عرقيًا ولا إثنيًا، فكان من الصحابة بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي.

وأسس النبي هذا المبدأ بأن الناس سواسية كأسنان المشط فلا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح . فالجنة لمن أطاع الله واتبع النبي ولو كان عبدا حبشيا والنار لمن يعصي ولو كان حرا قرشيا .ومما أعلى شأن المرأة في الإسلام كجزء من منظومة التغيير للقيم تحريم الشغار وهو أن يبادل الرجل قريبته مع قريبة الآخر فيتزوجون بلا مهر وكأنها رأس غنم برأس أخرى. وعندما حرم القرآن البغاء ذكر البغايا الصغار المجبورات بكل رفق ولين لأنهن مستكرهات واعتبرهن ضحايا ظروف مجتمع ظالم وجائر. وضع الإسلام اهتمامًا كبيرًا بالأسرة وتكوينها وترابطها وأكثر الأسر تقديمًا للتضحيات طوال تاريخ الإسلام هي أسرة النبي صلى الله عليه وآله فقدمت دعمها ماليًا وأدبيًا للدعوة والوقوف بجانب صوت الحق أمام قريش كلها، ثم بعد الهجرة كانوا في طليعة المجاهدين وقدموا من الشهداء والدماء الكثير، وبعد الفتح كان العلم الديني دورهم الرائد إلى جانب الجهاد في سبيل الله على مدار قرون طويلة بعد ذلك ظلت هذه الأسرة الشريفة الفاضلة تقدم النماذج المضيئة للبذل والعطاء وكان أساسها النبي وتربيته الطيبة والنشأة الربانية. فقد عودهم أن يقدموا كل شئ لدين الله بلا انتظار الأجر والشكر.

ولذلك فأحوال الدعوة الإسلامية يمكن قياسها بحال المرأة المسلمة فبمقارنة حال المرأة العربية قبل الإسلام من وأد للبنات وهضم للحقوق ومعاملتها كالبهائم والحيوانات

أو كالخادمة في أفضل الأحوال إلى المرأة الجديدة صاحبة الرأي والمشورة والعالمة بل والمعلمة والمجاهدة والمربية والأديبة الشاعرة و سيدة الأعمال فهي شريكة للرجل في كل شئ ولها حقوق متساوية مع الرجل ولا تعاني أي تمييز بل الإسلام خلص المرأة العربية من أوضاع اجتماعية ظالمة تنتقص من قدرها، وهذا ما يقوم به المسلمون من فرض قيود اجتماعية وليست دينية على المرأة تصل بنا إلى مقدمة المجتمعات المتخلفة. أول من آمن بالإسلام هي امرأة وهي زوجة الرسول الأولى وكرم القرآن زوجات الرسول في أعلى مقام بأن جعلهن أمهات المؤمنين، فالسيدة خديجة كانت أول المؤمنين وقدمت للبعثة وللرسالة أكثر من أي رجل وترسيخا لقيمة الوفاء سمي عام وفاتها رضي الله عنها بعام الحزن. وتكريما وتعظيما لها أنجبت من النبي 6 أبناء و لم ينجب النبي إلا منها، والسيدة مارية المصرية رضي الله عنها وكان يعرف صاحباتها ويحترمهن جدا حتى أن عائشة كانت تسأله لماذا يفعل ذلك ويحب خديجة كل هذا الحب وقد ماتت، فيقول النبي: يا عائشة صدقتني يوم كذبني الناس. وأفضل النساء أربعة؛ السيدة آسيا بنت مزاحم المصرية ومريم بنت عمران والسيدة خديجة أم المؤمنين والسيدة فاطمة الزهراء بنت النبي من خديجة والملقبة بأم الأئمة لأن الإمامة والولاية كانت من نسلها الشريف المطهر ولكثرة أهل العلم والتقوى والدين من أبنائها وأحفادها. وفاطمة وأمها أكثر امرأتين أحبهما المسلمون وأنزل الله جبريل بسلام الله لها وبشرها بالجنة. وبعدها تزوج النبي السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها وهذا الزواج يضرب لنا مثلا رائعا حيث كانت سودة رضي الله عنها امرأة بسيطة عادية و لم يكن زواج رجل مثل محمد بمكانته الاجتماعية من امرأة مثلها أمرا عاديا وقتها بل كان غريبا على العرب فأراد النبي بذلك تحطيم قوالب اجتماعية طبقية جامدة. بعد ذلك تزوج النبي بإحدى أكثر النساء إثارة للجدل والخلاف في التاريخ هي عائشة بنت أبي بكر رائدة العمل النسائي الإسلامي التي علمت الرجال حتى الآن تروي أحاديث النبي عنها، ولربما كانت المرأة الأكثر علما في الإسلام ولا نبالغ إن قلنا إنها من أكثر المسلمين علما وفقها وفهمًا، وكانت رقيقة القلب طيبة ورحيمة أحبها أهل السنة و لم يحبها الشيعة بنفس القدر و لم يعرفوا قدرها وبعض الغلاة المتطرفين منهم يروي عنها روايات كاذبة، ولكن هذه المرأة يحتاجها المسلمون الآن لتقود العمل النسوي بشخصيتها الفريدة وحكمتها الكبيرة فلا نظير لها الآن وصبرها وثباتها وثقتها بالله بعدما أطلق

المنافقون عنها شائعات لاتهامها بالفاحشة والله عند ظن العبد به وحقق ظنها ورجاءها ودعاءها وتنزل براءتها التاريخية، فقليل فقط من النساء شهد لهن الله بالطهارة القلبية قبل الجسدية وحتى بعد موقعة الجمل كانت تبكي وتطلب من الله أن يسامحها مع أنها لم تخطئ، فلم تكن تعرف حقيقة الأمر، فقد خدعها بنو أمية لتخرج معهم ويكفي أن النبي مات عندها في بيتها. وتزوج النبي غيرهن وكل زيجة كان لها هدف وحكمة، فمرة تزوج السيدة أم سلمي رضي الله عنها الأرملة ولها أولاد وزوجها رضي الله عنه مات من أجل الإسلام والدعوة إلى الله فكافأه الله بأن أعطى زوجته أمانة لأكثر العرب أمانة وهو النبي محمد وكافأها الله لصبرها على موت زوجها الذي تحبه بشدة بزواجها من النبي. ومن حكم تعدد زواج النبي أيضًا فمرة يتزوج قريبته ومرة يعطف على أميرة وقعت في الأسر وهو المنتصر المتوج فيتكرم على المهزومين ويتزوج أميرتهم.

وهكذا كل الزيجات ليعطي دروسا عن أهمية تكوين الأسرة وأن الاختيار ليس على حسب الغني أو العائلة وأن المهم في الزواج أن يكون رباطًا بين رجل وامرأة ويتعدى ذلك بين عائلة وعائلة وقد يكون بين مدينتين لتعميق المحبة والشعور الطيب بين الناس فكل الادعاءات الكاذبة على محمد لا تغير يقينا في قلوب المسلمين، والأسخف من ذلك ادعاءات الجهلة أن محمدًا كان شهوانيا يبحث عن الملذات، فهذا لا يمكن لرجل يقضي نصف الليل للصلاة حتى تتورم قدماه والباقي للدعاء .

وبالنهار يقابل وفودا ويلتقي بالناس ويعلمهم الدين ويترل عليه الوحي و يعلم القرآن وأحيانا يضع خطط الحرب فكيف يكون رجل بكل هذه الأعمال والأعباء يفكر في شهوة أو يبقي له وقت لممارسة أي شئ. وحتى خلوته بزوجاته كانت من حقهن الشرعي وإن كن هن أصلا متفرغات للعبادة والصلاة والصيام و الدليل الأكبر على تضحيات النبي وأسرته أنه عاش في فقر شديد، إذ وضع كل أمواله للفقراء والدعوة إلى الإسلام حتى اشتكت بعض الزوجات. وكان آخر ما يفكر فيه النبي هو الطعام، فطعامه كان بسيطًا جدا و كان في بيته لا يأكل إلا القليل، وقد يظل أيامًا بلا طعام وعاش معه زوجاته في صبر على شظف العيش في الدنيا رغم غناه وكثرة ماله إلا أن زوجاته فضلن ما عند الله على الدنيا. وكان النبي في بيته حنونا طيبا لم يقسُ على واحدة منهن و لم يشتمها و لم

يعايرها و لم يكلفها بما لا تطيق وكان يأكل أي طعام يوضع أمامه وإن لم يعجبه لم يأكل فلا طلبات دنيوية، كُنّ غالب الوقت يسألنه عن الدين وهو يجيب. ونرى قدر المرأة في الإسلام أنه كان يحيك ملابسه ويصلح نعله بنفسه بكل تواضع وإحساس بالمسئولية تجاه زوجاته وبيته.

ونري في تاريخ الإسلام رائدات العمل النسائي في المجتمع، فسمية تسقط شهيدة من التعذيب الوحشي يمزقها الكفار تمزيقا ويطعنونها بالحربة في موضع عفتها و لكن تتحول كل قطرة من دمائها إلى ألاف من المسلمين يذكرونها بكل خير ويعلمون أولادهم وبناتهم أن الإسلام دين عزيز وغالب وصل للمسلمين اليوم بدماء و تعذيب وقتل وتمزيق .ونري من الصحابيات الشهيدة والتي تداوي جراح المرضي في المعارك ونري المرأة البدوية التي تطلب الشهادة من الله فيخبرها النبي أنها ستموت في غزو البحر في وقت لم تر البحر في حياتها ويأتي عثمان بن عفان الخليفة الثالث و يصنع المسلمون أسطولا وتستشهد في سبيل الله التي تربي ابنها على العطاء وان يهب حياته لغيره فيترك أرضه وبلاده ويذهب لنشر كلمة الله ويبلغ رسالته في مشارق الأرض ومغاربها . قد يستغرب البعض من منع بعض الأسر المسلمة بناتهن من التعليم إذا علم في زمن الصحابة والتابعين أن امرأة تزوجت رجلا بمهر حفظه لسور القرآن .حتي أن ابنة احد الصالحين كانت تقول لزوجها تعال أعلمك علم أبي وما يستدل به أعداء الإسلام أو الجهلة المتسلطين منهم أن النساء ناقصات عقل ودين مع أن الحديث واضح بسبب الشهادة وذلك نقصان العقل والحيض فذلك سبب نقص الدين لان المرأة المسلمة لا تؤدي بعض الواجبات الدينية في حيضها .يتخذ البعض من عدم الأمن أو سوء الخلق و المتسكعين أو حتى التحرش ذريعة لحبس البنات ونسوا أنها مسئولية الحكومة البائسة والمجتمع الغير عادل فالنبي أقام حربا مع اليهود بسبب تحرش احدهم بامرأة مسلمة و لم يمنعها من الخروج أو يلومها المسلمون مثلما يحدث اليوم ويساوون بين الفتاة الضحية وبين المجرم .و لم نسمع صحابيا غضب وتضايق انه أنجب أنثي أو طلق امرأته لعدم إنجاب الذكر و لم يورد لنا التاريخ الإسلامي أن محمدا و أصحابه قد زوجوا الفتاة بدون إرادتها أو بدون استشارتها فالفتاة المسلمة حقها أن تختار شريك حياتها كما له الحق في الاختيار ويكفي أن القرآن اهتم بقضايا الأسرة المسلمة وتبني وجهة نظر المرأة في سورة مشهورة وان الله قد سمع شكاية امرأة من زوجها وانزل لي ذلك

قرانا.واستمرار للمنهج المحمدي كان خلفاؤه من بعده وكان عمر الشديد المهيب قاطعته امرأة فيقول ويحك يا عمر أصابت المرأة وأخطئت والعجيب أن عمر قد وضع مسئولية السوق والتفتيش على البائعين وحل خلافاتهم بيد امرأة و نفس الرجل عمر يعدل قوانين الجيش كله بسبب شكوي امرأة من طول مدة سفر زوجها والأعجب أن رجلا قد مل من ارتفاع صوت زوجته في البيت وذهب لعمر فسمع صوت زوجة عمر عاليا فقال الرجل جئت أشكو اليك فوجدت حالك مثل حالي فيرد عمر أن زوجة تحملته و رعت أولاده وقامت على شؤونهم والواجب أن يعرف حقها و يقدر الأعباء الملقاة عليها .وحلت المرأة المسلمة في كل حادثة كبرى من الإسلام فالهجرة عانت أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين لإيصال الطعام لأبيها وللنبي ولا يعلم الكفار وكان زوجها الزبير بن العوام فقيرا و كانت تقوم بكل الأعمال الشاقة مثل إطعام الفرس وغير ذلك وكان في الهجرة الأولي للحبشة والثانية للمدينة وجود للمرأة المسلمة وفي بيعة العقبة كانت المبايعات الأوليات رضي الله عنهن . و تقديرا لدور المرأة المسلمة ولو كانت واحدة فقصة إحدى بنات الرسول وزوجها المشرك وقد تم التحريم بينهما ودارت الأيام وصارت القوة بيد النبي واصحابه في المدينة ويتحول حالة زوجها من سيد في قريش إلى رجل هارب مطارد ويطلب منها الأمان فيعطيه المسلمون الأمان إكراما لامرأة واحدة هي بنت النبي صلي الله عليه واله . بل حتى امتدت رحمة الإسلام للحيوانات فيحرم أخذ أجر تعشير البهائم لأنه حقها ويحرم صيد صغار الطيور قبل سن معينة وأمثلة أخرى كثيرة .

عندما يجد المسلمون هذا التاريخ الكبير والتراث العظيم الذي لا يقف فقط عند النبي بل هو امتداد لكل الأمم المؤمنة و يتركون مهمة البلاغ عن الله وان يدعو إلى الدين بالمنهج الرباني بالحكمة والموعظة وبالذات التوصية بأهل الكتاب فأذية الذمي أذية لله وللرسول فان ما يطبقه المسلمون من دينهم قليل جدا كمثل شجرة واحدة في حديقة كبيرة.

قد يحتج بعض الطاعنين على الإسلام بأنه دين عنف وحرب وذلك غير صحيح فعندما عفا النبي عن آلاف الأسرى يوم فتح مكة أتته الوفود من القبائل مبايعين بلا قتال ولا قطرة دم بل هي الأخلاق الإسلامية والشهامة العربية و الحرص الشديد على العلم من امة العلم فأول ما في القرآن اقرأ بسم ربك الذي خلق و جعل الإسلام للأسير فدية في

غزوة بدر أن يعلم المسلمين القراءة والكتابة .و من المطاعن الكاذبة أيضًا ان القرآن من اختراع وتأليف محمد وهو الذي لم يتعلم ولا يقرا ولا يكتب و لم يكن شاعرا طوال أربعين سنة قبل الوحي و لم يكن حكيما ولا فيلسوفا فهو عربي والعرب لا يعرفون هذه العلوم ولو كان محمد من ألف القرآن على حسب زعمهم بهذه البلاغة والفصاحة والدقة والمعاني اللغوية واللفظية والمجاز والتصوير بدون أي خطا و بدون أي خلل في المعني أو تعارض في ١١٤ سورة قد تجمع في أكثر من ٦٠٠ صفحة لكان حقا أن يعتبر محمد إلها وان يعبد وليس مجرد رسول أي وهم يقول المشككون بعد تحديات مستقبلية من القرآن للكافرين و يحدث ما ورد في القرآن ولو كان يعقل هؤلاء لدمروا الإسلام تماما لو كذبوا ما اخبر القرآن انه سيحدث وحدث بالفعل مثل انتصار الفرس على الروم وتحويل القبلة .ومن أكثر الأدلة على جهل هؤلاء بطبيعة العرب وتاريخهم ما قالوه أن القرآن مقتبس وبه كلمات غير عربية أو كلمات غريبة غير مفهومة المعني أو غير مألوفة وذلك لحكمة من الله أن يكون القرآن ديوان العرب ويحفظ اللغة التي تمثل الثقافة العربية تمهيدا لتأسيس الحضارة الكبرى.وعندما ظهر مدعي النبوة في عصر النبي وقالوا هذيانا على انه وحي لا يمكن مقارنته بالقرآن ولا في البلاغة والفصاحة ولا حتى في المعاني العميقة والقضايا التي يناقشها والأحكام الفقهية

ومن أهم المشكلات في هذا العصر التي تواجه المسلمين هو الخلط في المفاهيم الدينية وتفضيل آراء الفقهاء والعلماء الأوائل على فهم النص والمراد منه وهو ما يعطي الفرصة الكبيرة للحاقدين على الأديان والداعين للإلحاد أن ينتقدوا ويسبوا الأديان ويهينون الوحي باختلاف أنواعه و يدعون إلى اللادينية ولا يعرفون نبيا ولا كتابا ورسولا ولا جنة ولا نار ولا حساب فنجد التقذيع والتجريح من هؤلاء المغرضين ضد الديانات السماوية فيصبح البوذي والهندوسي والكنفوشي وغيرها من ديانات وملل أرضية أفضل من اؤلئك الملحدين لان الدين الأرضي يحترم الآخرين و عقيدتهم وأفكارهم ولا يهينها ولا يتدخل فيها لكي يبطلها ويهدمها.الفهم الصحيح للإسلام يلزمه فهم التدرج في الأدلة القرآن ثم السنة ثم الإجماع ثم القياس .فمن يهاجم الإسلام لرأي عالم مهما علا قدره هو هجوم قاصر و جاهل وفي غير محله لان الحكم الصحيح يكون على القرآن أولا فمن أراد إدانة الإسلام فليستخرج من القرآن .و تحدي القرآن منتقديه ومعارضيه بان يجدوا خطئا و لو

طفيفا في خلق الكون وانتظامه أو تعارض بين آيات القرآن أو أن يأتوا بسورة من مثله والي غير ذلك من المعجزات الثابتة التي لا تنقضي علميا و تاريخيا ولغويا وعدديا .ومثل ذلك السنة النبوية التي يعتبر ما صح منها هو متمم للوحي بل هو وحي ولكن بتطبيق عملي وهذا دليل دامغ أن الإسلام منهج متكامل للحياة وليس مجرد عبادات وشعائر ولذلك اختار الله الكامل المنزه عن النقص مثالا بشريا ليحمل رسالته ويبلغها وهو الإنسان الكامل (محمد صلي الله عليه وآله) وأكثر من هذا جعل الله أصحابه أفضل المسلمين وأنقاهم قلبا وأشجعهم ليكونوا على قلة عددهم الأكثر إيمانا لحكمة بالغة نراها بمرور القرون وهي زيادة أعداد المسلمين أضعافا مضاعفة فتوزع إيمان الصحابة على من بعدهم حتى يعود الإسلام كما بدا قبل الدعوة بلا تابعين وهي من علامات القيامة فآراء الفقهاء غير مهمة إلى جوار الوحي وسيرة وسلوكيات حامله الأعظم وأتباعه المحبين الأنقياء المخلصين .فلا يمكن مقارنة الجهد البشري مهما عظم شانه بالوحي وتعاليم السماء .

انتشار التيارات الإلحادية في العالم لا يأتي عن طريق نشر فكرهم اذ لا فكر لديهم يقدمونه بل هو الهجوم على معتقدات الآخرين متخذين من بعض النصوص في العهد القديم أو حتى الآن من سفاهة بعض المدعين كذبا أنهم شيوخ للإسلام و يتصيدون بعض الآراء التافهة المثيرة للضحك من شيخ أو معمم أو بعض الأصوليين أو يجدون فتاوي مدفونة في كتب تراثية ويسوقونها كذبا أنها هي الإسلام وان هذا هو القرآن و بعض المغرضين من المستشرقين يثيرون شبهات فلسفية أو خلافية تاريخية انتهت بمرور الزمن و حسمها علماء المسلمين ومجرد النقاش فيها لا ينتج إلا خلافات وفتن . و لم يعرف الإسلام فرض قيود على الفكر وإنما وضع أسس للاستدلال و الاستنباط في منظومة فكرية متناغمة يمكن باستعمال أدواتها الوصول لنتائج منطقية فإذا كان النقاش بهدف الوصول للحقيقة فإنه سيتحقق أما إذا كان بهدف الجدال فإن الله قد كره لنا الجدل واحق لنا العمل لأن الإسلام دين عمل لأنه يكره قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال .ومن العجيب أن من ينكر وجود الله فكأنه لا يري كل هذا الكون المعجز وكأنه لا يري الحيوانات والطيور والأسماك و حتى الفيروس والأميبا في ما يعرف بالهرم الغذائي أو السلسلة الغذائية.

كيف لأي عاقل أو حتى غير عاقل أن يقول إن كل هذا الكون من قبيل الصدفة؟! فأي صدفة تعلّم الحيوان كيف يأكل وكيف يتكاثر وفي أي موسم يهاجر؟ وكيف أن الحيوانات الضارية لا تقتل أولادها بين فكيها وكيف أن النظام البيئي لا يختل؟ كل شيء يخضع لقانون حتى قانون الغابة وبالخروج بعيدًا الأرض والقمر والشمس والنجوم و والكواكب فهل جاء هذا فقط بسبب مجرد اصطدام أو انفجار بين نجمين ضخمين؟ الحقيقة أن إنكار وجود الإله أتفه فكرة في التاريخ.

بعض دعاة التحديث في الفكر الإنساني الحديث اتخذ منهجا سليما للوصول إلى التطوير المنشود وذلك باتخاذ منهج تحليلي ونقدي في التفكير قائم على ما سبقهم من نظريات فلم يهدموا كل ما سبق وإن كان ثبت عدم صلاحيته فنيوتن استفاد مما سبقه وآينشتاين استفاد من نيوتن .و لم يكن ممكنًا الوصول للنظريات الرياضية المعقدة حاليا التي تستخدم في العلوم الاليكترونية بدون التفاضل والتكامل الجبر ولولا الحساب ما تحقق ذلك ولولا الفلسفة اليونانية القديمة ومنطقها و جهود المصري القديم في تسجيل حسابات المحاصيل الزراعية ما وصلنا لما نحن عليه الآن فهكذا العلوم المتنوعة ومنها علوم الدين فلولا اجتهادات علماء القرون الأولي ما وصلنا إلى اعتقادات دينية راسخة الآن نتجت عبر تراكمات من الجهود العلمية والفكرية وكل جيل يضيف لما قبله وبالتالي كان القديم غير صالح للحاضر ولكنه أساس و مدخل مهم و لولا القديم ما كان سيتحقق الجديد.

وإن كانت الظواهر الخارجة عن العادة الخارقة للطبيعة التي تناولتها النصوص الدينية قد يعتبرها غير المؤمن أسطورة إلا أنه لا إيمان بدون غيبيات فلو علم الإنسان كل الغيبيات لصار في منزلة الآلهة .لذلك تظهر أهمية العلم والعقل الذي يصل إليه دون إهمال الجانب الروحي فإهمال الروحانيات والاستغراق في مادية مجحفة أعطي الحياة المعاصرة بعدا ميكانيكيا آليًا بدون إحساس أو مشاعر .فالإيمان بأي دين به جزء خارج نطاق المألوف والمعقول وبلا إجابات فمثلا سفر أخوخ الحبشي وهو سفر ابوكريفي لليهود والمسيحيين إلا أن الكنيسة الحبشية تعترف به ويوجد به بشارة واضحة بالمسيح ابن الإنسان وصفاته وعن محمد المصطفى نبي آخر الزمان وعن يوم الدينونة ووجد من السفر نصوص منقولة في سفر يهوذا وأخبار أنبياء آخرين كآدم ونوح فجميع الديانات تقبل

عليه لإثبات حجيتها ولكن في نفس الوقت يرفضونه ولا يعترفون به فمثلا يشبه البعض بين قصة معراج أخنوخ و حادث الإسراء والمعراج للنبي محمد إلى غير ذلك من استنادات تخص كل ديانة ولذلك فالجميع يعتقد أنه صاحب الحقيقة.

هذا الاختلاف في فهم الدين ينحصر بين نظريتين أساسيتين هما النظرية الغيبية التي تعزو كل قوانين الطبيعة إلى الغيبيات مثل الفقهاء الاشاعرة المسلمين الذين يردون كل شئ إلى علمه وقدرته وإرادته وعلي النقيض النظرية المادية التي لا تؤمن إلا بما يمكن قياسه والتي يذهب إليها الملحدين واللادينيين ولكن بعض علماء المسلمين أصحاب المنهج العقلاني والحداثي أرادوا فهم الأديان والغيبيات بشكل عقلاني واستنتجوا من نظرية دارون القائمة على تطور الأنواع والبقاء للأصلح ما يعرف بنظرية نشأة وتطور الأديان أو ما يطلق عليه قانون الحاجة والانسجام الحاجة البشرية إلى الدين والانسجام مع الوضع النفسي والاجتماعي .وقدموا تحليلات منطقية جدا للإسلام من خلال هذه النظرية وإنها تنطبق عليه بشكل كبير جدا وقد لا تنطبق على غيره يمكن تقسيم الدين إلى ٣ مستويات وهي الإيمان والعقائد والتشريعات أو الأحكام .الإيمان ينقسم إلى قسمين قسم بشري حيث حاجة الإنسان إلى الله والتعبد وتفويض أمره إلى الله فهو الضعيف وهي حاجة بشرية أما الإيمان نفسه فهو الهي يعطيه الله لمن يعبده ويقوي علاقته به وهذا الجزء الإلهي المقدس هو أهم جزء في النظرية كلها أما العقائد والتشريعات فهي حاجات بشرية كقول النبي (قولوا لا اله إلا الله تفلحوا)ليس كلها غيبية منها جزء يمنحه الله وجزء يقوم به البشر.أما بالنظر للإسلام كنموذج فالحاجة نفسية واجتماعية والانسجام قسم فكري في منظومة الإنسان وآخر اجتماعي . الحاجة النفسية للنبي هي ككل الأنبياء العظماء ورواد التاريخ يغيرون بنفوسهم القوية وإرادتهم المجتمع فالنبي كان يري الظلم في مجتمعه الجاهلي .الحاجة الاجتماعية للحرية و العدل والمساواة في مجتمع طبقي عنصري فيه السادة والعبيد ومجتمع قبائلي متقاتل متفرق يحتاج إلى التوحد فالعرب لم يكن من الممكن أن يخضعوا لسلطة رجل من أي قبيلة أخرى سواء بالمال أو القوة ففي القرآن (لو أنفقت ما في الأرض ما الفت بين قلوبهم) ولكن قد يخضعوا لنبي مؤيد من السماء . ومثال لذلك الدعوة حققت أهدافها في المدينة عكس مكة والطائف فحاجة أهل المدينة للوحدة(عكس المناطق

الأخري) بعد أن أتعبتهم الخلافات والشقاق وجدوها في إيمانهم لنبي من عند الله يوحدهم ويقيم دولة ونظام وقوانين ويرفع الذل عنهم من أهل الكتاب (اليهود) فصار لهم نبيا وكتابا مثل بني إسرائيل .وبتحقيق النظرية على أركان الاعتقاد الثلاثة (التوحيد والنبوة والآخرة)فالإنسان بطبيعته فرد متوحد يحب أن يكون اله واحد أيضًا كما في القرآن (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلا لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله) وحاجة الإنسان للآخرة أمر طبيعي فحب البقاء والخوف من الفناء شيء غريزي وكذلك انتظار عدل الله في الانتقام من الظالمين في الدنيا) وإن زاد الشيعة ركنين جديدين نابعين من حاجتهم وهما العدل والإمامة لوقوع ظلم عليهم وأن السلطة دائما مع الخلفاء السنة لذلك غالبيتهم في إيران ويكرهون عمر تحديدا لإنهائه إمبراطوريتهم، وتوجد عندهم روايات كسر ضلع الزهراء وغيرها. وهكذا تنتج هذه النظرية نتائج مثل إنزال القداسة عن الأحكام فهي بشرية بخلاف الإيمان(الارتباط بالله) فالله ينير قلب الإنسان المتصل به، فالإيمان إلهي ومقدس والتعددية الاعتراف بحق الآخر واحترامهم ونؤمن كدين بالحرية وحقوق الإنسان باعتبارها منح إلهية وحقوق دينية.

المنطقة العربية بين الثيوقراطية والمدنية

عرفت المنطقة العربية منذ القدم عبر تاريخها الطويل نماذج من حكم الدولة الدينية الثيوقراطية من خلال الربط بين الحكم والقداسة بداية من الدول القديمة كالفراعنة والبابليين مرورًا بعصر النبوة في العهدين القديم والجديد وبعد ذلك الدولة الإسلامية وجهاد أهل البيت عليهم السلام وأخيرا بانتهاء الإمبراطورية العثمانية بإعلان الجمهورية في تركيا مع ما صاحب ذلك من حكم شرعي أو ولاية فقيه أو حكم أئمة أو تيارات جهادية وتكفيرية وإرهاب سواء من جماعات إسلامية أو من دول إرهابية كإسرائيل من حيث فكرة ربط كرسي الحكم بالآلهة فدائما كان الحاكم إلها أو مؤيد من الإله أو موكل منه أو الإله يؤيده أو ظل الإله في الأرض أو المتحدث بسم الإله أو اختيار إلهي إلى غير ذلك كل هذه المقدمات التاريخية تضعنا الآن في تصادم بين محاولات لإحياء الدولة الدينية و بين العلمانية وبين رفض مبدأ الحكم الديني والمفاهيم المدنية .

ظهرت الرغبة القوية لدى الأوربيين في التقدم والتطور بإصرار كبير على إزالة أي عائق أمام هذا التقدم، فلم يجدوا إلا قطار العلم الذي كان سريعا جدا نحو التقدم المنشود أسرع بكثير من المؤسسات الدينية والكنسية وأكبر من إمكاناتها التقليدية التي قد تقتصر على الوعظ وإقامة الشعائر أمام موجات متلاحقة من نزعات فلسفية ونظريات علمية، إلا أن المجتمع إذا تغير كان كالزلزال يضرب كل ما هو قديم ولكن برغم انزواء دور المؤسسات الروحية والكهنوتية إلا أن الدين لم يضِعْ ولكنه بقي في الخلفية أو على الأقل كانوا يصلون يوما في الكنيسة وباقي الأسبوع في البنك، هذه الحياة المادية لم تقضِ على الدين المسيحي رغم دعوات الإلحاد، والنتيجة أن ما نعيشه في الوقت المعاصر من تفوق الدول الأوربية المسيحية الأصل(والأكيد أنها تأثرت بالكتاب المقدس) ولكنها حكمت بقيم علمانية.

هناك نظريات كثيرة تتحدث عن الإنسان والأديان ودورها في الحياة المعاصرة بين مؤمن ببشرية الأديان ومنكر لها، فظهرت فلسفة الدين هو كيفية فهم الدين بشكل

عقلاني. فلسفة الدين بدأت منذ بداية التفلسف وإن كانت التسمية لم تكن موجودة. بدأت من الحكماء الأوائل الوثنيين منذ طاليس قبل الميلاد مرورا بارسطو وافلاطون وسميت في إطار الميتافيزيقا (ما وراء الطبيعة)عن أصل الوجود والكون ومن ينظم الطبيعة وما هي القوة المنظمة للكون ومن أين أتيت وكان العقل قبل نزول الوحي كان مشغولا ومهموما دائما بتجاوز ذاته في حدود الزمان والمكان إلى ما وراء الطبيعة فكان طاليس يقول الماء أصل كل الأشياء وهذه كانت أول أطروحة في التاريخ عند اليونان تنظم العلاقات في الكون وتردها إلى علة واحدة أو أصل واحد فيظهر مفهوم الدين الطبيعي لأنه مستقي ونابع من الطبيعة ومشتق منها فيحدد ظواهر الطبيعة وما يقف وراءها ثم ظهور نظرية عناصر العالم الأربعة التراب والهواء والنار والماء إلى أن أظهر الكسندرمنس مفهوم الأيبرون (اللامحدد أو اللامحدود أو اللانهائي) فالأشياء لها عمر محدد وبعدها تموت وتنتهي فهي محدودة فلابد أن الذي خلق وأبدع كل هذه الأشياء أن يكون غير محدود فلم يكتف الإنسان بالعالم المادي الذي يعيشه بل حاول تجاوزه إلى ما وراء ذلك وهذه هي النقاشات الأساسية لفلسفة الدين. قبل ظهور الأديان التوحيدية ووحي السماء كان الفيلسوف ينتقل من عقله إلى ما وراء هذه الأشياء باحثا عن ما وراء الطبيعة بينما بعدها قدم الدين بأي شكل سواء كان وحي أو تنزيل إجابات عن الغيبيات فمثلا الخالق هو يهوه في اليهودية والكلمة أو اللوجوس في المسيحية والله الخالق البارئ المصور في القرآن ومن هنا بدا الصدام بين الدين الطبيعي والأديان التوحيدية فكان الصراع بينهما ثم التوفيق في العصر الوسيط ثم التوفيق بين الفلسفة والدين لتستقر فلسفة الدين بالمعني والمفهوم المعروف حاليا كأحد فروع الفلسفة يناقش الميتافيزيقا وما وراء المادة وهو ما يخرج عن حدود العقل لان العقل حدوده الطبيعة أما ما بعدها فهو خارق عن إدراكه الغير مرئيات قد يكون الله أو الملائكة أو القوة العليا أو الحقيقة القصوى المطلقة واختلف الفلاسفة حول تعيين طبيعة هذه الحقيقة القصوى هل هي مادية ام طبيعية ام روحية أو عقلية لكن الجميع بلا استثناء اتفقوا على وجود هذه الحقيقة القصوي التي تقف وراء الطبيعة فلا مجال عقلي لإنكار وجود إله مؤسس للكون على اختلاف الأديان والمعتقدات واختلاف المعبودات بين واحد واثنين وثلاثة أو عدة آلهة أو عبادة ظواهر الطبيعة إلى أخره من اختلافات .

التساؤلات الأهم في فلسفة الدين تدور حول الله وماهيته و طبيعته وصفاته وخواصه و بعد نزول الأديان كان الجهد الأكبر من الفلاسفة هو إثبات وجود الله وهو ما يعادل آراء طاليس بالدين الطبيعي ولكن طاليس ليس معه كتاب أو وحي يمكن اعتباره ديانة أو عقيدة فدور الدين تقديم إجابات لهذه الأسئلة .و مع ظهور الأديان التوحيدية حدث لبس أو خلط في مسالة مفهوم اللاهوت (ثيولوجيا) أي علم الله وممكن أن نقول إن اللاهوت هو علم الله فيما لله (يخص الله) ومرشد للنفس البشرية .

وعلاقة اللاهوت بفلسفة الدين أساسية فالدين والعقل بينهما قاسم مشترك ففلسفة الدين تبدأ من العقل لتصل إلى الله أما اللاهوت أو الدين فبالعكس يبدأ من الله (النص الديني) وصولا إلى العقل أي أن هدف اللاهوت هو العقل فالمعرفة بدون إيمان بلا أي قيمة والإيمان بدون معرفة لا قيمة له .وهنا يتساءل البعض هل عالم أو مخترع الآن معرفته بلا قيمة لأنه بلا إيمان والصحيح أن هذه المعرفة العلمية هي لمعرفة بالمعني العقلي وهو مفهوم قاصر ولكن المعرفة بالمعني الأوسع وهو يشمل كل الملكات و الحواس والجوارح والحدس وليس العقل فقط ولذلك نجد أن الإيمان ضروري فهو يتيح أبعاد أخرى للمعرفة لا يتيحها العقل فهو محكوم بقوانين الطبيعة ولذلك يوجد ما يعرف بفلسفة التخوم إذ اتسع مجال المعرفة جدا . فالدين دوره تقديم إجابات مطبوعة في عقل الإنسان مجبول عليها بالغريزة فهناك أشياء مثل الموت والولادة والحياة وغير ذلك لا يمكن تفسيرها بالعقل .

أهم سؤال الآن في الغرب هو لما الإنسان موجود وما الغرض من وجوده هل خلق بالصدفة أم أوجدوه شخص أم أشخاص من خارج العالم وطبعا لا يوجد شيء في العالم من الناحية الفلسفية اسمه وجود بالصدفة ولذلك كان دور الاسمان أن لكل إنسان غاية ورسالة والدليل كل أدلة وجود الله انه لم يخلق العالم بالصدفة كالكمال و الاتساق فكل واحد له هدف ودور ومن يقول أن الكون بالصدفة عليه إثبات الصدفة في حين أن الدين يوضح أسباب عدم الخلق بالصدفة. ومن ذلك يأتي دور العقلانية فقد استقر الفلاسفة على مبادئ لقبول الدين أو ما يعرف بنظرية الدين العاقل، ولذلك وضعت معايير لما يعرف بالدين العاقل وهو لشرح وتفسير ظواهر العولمة فالعالم الآن قرية صغيرة فعلى

الأديان أن تتعايش معا في ضوء هذه الظروف التي فرضتها تكنولوجيا المعلومات والاتصالات :

١-لا يفرض طقوسه وتعاليمه بالقسر والإجبار

٢- لا يمارس العنف ولا يدعم العنف بشكل مقدس

٣-أن يمتثل للتعددية نعيش في مجتمع تعددي فلا يملك احد الحقيقة المطلقة وحده ويكفر الآخرين

٤-أن يمتثل لحق العلم في احتكار تفسير العالم فيقر ويعترف بسلطة العلم في تفسير العالم وليس ما وراء العالم (لأن تفسير ما وراء العالم هو دور الدين)

٥- في المجال السياسي أن تستند السياسة لمقدمات دستورية وليست دينية فالحاكم ليس وظيفته إدخال الناس إلى الملكوت وإنما تسيير أمور الناس إلى الأفضل .

فلا يمكن تحقيق كل هذا التقدم في العلوم الطبيعية والتكنولوجية إلا بتحقيق تقدم مماثل في علوم اللاهوت وعلوم الدين وفلسفة الدين؛ لأن الهدف الأول للدين هو محاربة الشر وما يتصل به. ويتضح هذا من قول الله في سفر التكوين لآدم اعملها واحرثها فغاية الأديان تحويل الأرض إلى فردوس فهذه العلوم الدينية أيضًا تتيح قوي روحية كبيرة للأمم تدفعها للتقدم وللعمل والاتحاد ووضع خلافاتهم جانبا من اجل المصلحة العليا للأمة لان تقدم أمتهم فيه إعلاء ونصرة للدين الذي يعتنقونه . قديما لم تكن تلك المفاهيم المدنية والحداثية قد نضجت فكان الحاكم يسيطر على منظومة الثروة و منظومة الكهنوت وبضمان القوة العسكرية يرسخ ويتوطد الحكم ولكن كل هذا يختلف عما إذا كان الحاكم من أتباع أي ديانة بالأخص لو سماوية فان الحكم أكيد يصطبغ بصبغة دينية تتجلي في الحرص على الشعائر والمواسم واتخاذ الألقاب الدينية وبناء أماكن العبادة إلى غير ذلك . ومع ذلك فهذا ليس عيبا في الدولة الدينية ولا يشترط أبدا كون الدولة دينية أن تكون ظالمة وفاشية تحكم بالقهر فالمعيار في نجاح الدولة هو العدل ووفائها بالتزاماتها نحو الشعب .فشرط إقامة دولة دينية هو النبي المقيم لان هدفها الأساسي ليس مجرد الحكم وإنما غرضها ترسيخ الدين والاعتقاد كما تخبرنا الكتب السماوية . يأمر الله بني إسرائيل في القرآن بان يشكروا نعمته إذ جعلهم أنبياء وجعلهم ملوك (إذ جعلكم أنبياء وجعلكم ملوكًا) ويوجد

أسفار في العهد القديم باسم الأنبياء والملوك فالواضح هنا أن الله اختار لهم النبوة والملك أي رئاسة الدنيا ورئاسة الدين وحتى التوراة باعتبارها كتابا دينيا فإنها لا تكتفي بذكر النبي وإنما بالملك أيضًا وهذا الاختيار الإلهي للحاكم إن تم تطبيق الوصايا والأوامر الإلهية فإنه بالتأكيد أفضل من أي دولة مدنية. وهذا لم يتكرر إلا مع النبي صلى الله عليه وآله، إذ جمعت له كل الخيرات والمناصب الدينية والدنيوية فوصفه الله بأنه شاهد ومبشر ونذير وداع إلى الله و سراج منير للبشرية . بنظرة متأنية للمقارنة بين إشكال الحكم والتشريع في التوراة والإنجيل والقرآن لوجدنا انفراد الإسلام عن غيره بمبدأ القيادة الجماعية فالحكم مسئولية للأمة كلها وليس الحاكم فقط ووضع واجبات على الأمة تشترك فيها معا مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخطاب الإلهي للمسلمين ليس نخبويا مثل التوراة فالخطاب دائما للملك أو النبي أو الكهنة بعكس الإسلام فالخطاب للمؤمنين بشكل عام إلا بعض المواضع القليلة وحالة الإنجيل مختلفة فالمسيح لم يأت ضد السلطة وقال دع مال لله لله ودع ما لقيصر لقيصر وإنما جاء ينسف منظومة الأحكام السابقة التي وضعها الكهنة فجاء مستهدفا تغييرا اجتماعيا و لم يأت بشريعة جديدة وقال (ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء بل لأكمل).

هناك تشابه كبير بين الأديان على اختلافها في عدة أمور بالذات في العقائد فمثلا مبدأ الزهد في الدنيا والانقطاع للعبادة ظهر عند اليهود جماعة الاسينيين ثم الرهبان المسيحيين و ظهرت المدرسة الغنوصية العقلانية الكشفية الفلسفية في المسيحية أيضًا ثم المتصوفيين المسلمين وما صاحبهم من مدارس تعني بعلم الكلام والمنطق وعلاقة النص بالعقل مثل الاشاعرة والماتريدية والمعتزلة .وكذلك ظهور ما يعرف بالمدرسة الأصولية الراديكالية في الإيمان وكانت عند اليهود ما يعرف بالحريديم (المتمسكين بالشريعة)ثم الكنيسة قويمة الإيمان (الأرثوذكسية)وبعد ذلك في الإسلام ما يعرف بالتيارات السلفية على تنوعها واختلافها .وعرفت الأديان انشقاقات وظهور مدارس جديدة أو حتى مذاهب جديدة كانشقاق السامريين عن بني إسرائيل و البروتستانت في المسيحية والخوارج والشيعة في المذاهب الإسلامية .حتى النصوص نفسها تتشابه بطريقة كبيرة فاتفقت الكتب والطوائف كلها على عبادة اله واحد وعلي الملائكة والشيطان والجنة والنار ويوم القيامة وأحداثها و مخلص آخر الزمان باختلاف الظروف والأحداث بحسب

كل عقيدة و.وكذلك نري احترام الأنبياء مثل آدم ونوح وإبراهيم ويعقوب وإسماعيل واسحق وداود وسليمان.واتفقوا أن الله أرسل شرائع من عنده ووضع أحكاما للأمم .وأثرت ثقافة الأنبياء على العرب بالذات في الجزيرة العربية ووضعت لهم استعدادا ثقافيا لاستقبال نبوة جديدة.الفكرة الأساسية التي سعي إليها البشر هي فكرة الشفاعة للتخلص من النار ودخول الجنة وساعد على ذلك عبادة الأوثان فهي إما وسائط إلهية أو تقرب من الله أو أشكال لله (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فلما جاءت النبوة وصار الشفيع ليس الأصنام التي لا تنفع ولا تضر بل النبي البشري الذي يعرفه قومه صارت فكرة مقبولة .أكثر الأمم الوثنية في عصور النبوة عرفوا أن الله مصدر الخير وكان عند بعضهم إله آخر للشر كالمجوس مثلا فلما جاءت الأديان بفكرة الشيطان استساغوها والأكثر من ذلك أن تعدد الآلهة في حد ذاته أفاد الأديان التوحيدية لان الآلهة السابقة كان لها نفس خواص وصفات الله من حيث القدرة المطلقة فقبل الناس النبوة من هذا المبدأ ولكن بدل آلهة صار إلها واحدا وهنا عظمة التوحيد من حيث إضافة الحكمة والعدالة إلى هذه القدرة المطلقة .أهم الاختلافات بين الأديان أن القرآن كان تنزيلا من عند الله وليس تدوينا كما هي الحال في الكتاب المقدس الذي هو صياغة بشرية بتأييد السماء لهذا التدوين باستثناء أسفار موسى الأولي الخمسة التي تعتبر تنزيلا وظهور إشكاليات التحريف والترجمة والنسخ المتعددة للعهدين القديم والجديد والنصوص المنحولة إلى غير ذلك ولكن القرآن كان عربيا واضحا مبينا أكثر بلاغة وأدق وصفا وأعمق في الرواية و القصص وأكثر تحديدا في الأحكام والتشريعات ولكن يتفوق بشكل كبير الكتاب المقدس على القرآن في التأويل وقد يعزي هذا إلى اختلاط الكهنة بالمدارس الفلسفية عكس العرب الذين تفوقوا في البلاغة والأدب ولذلك نجد أن كل كتاب يناسب بيئته والظروف في الفترة الزمنية التي نزل فيها .حتى أن العربية لغة القران تعتبر امتداد للغات السامية الأولي التي نزل بها التوراة و الإنجيل والعجيب أن مصر دائما هي حجر الزاوية في تاريخ الديانات فجاءها إبراهيم الخليل وتزوج منها وأنجب إسماعيل أبا العرب من أم مصرية والنبي محمد تزوج من سيدة مصرية والعائلة المقدسة جاءت لمصر هاربة من بطش الرومان و قدمت مصر تضحيات ومئات آلاف الشهداء ضدهم وجمع الرومان أثناء احتلال مصر كل أسرار الحضاة الهلينستية وهي الحضارة المصرية القديمة في صورة يونانية حتى جاء الفتح العربي لمصر

وحررها من الاضطهاد والعبودية وفي نفس الوقت انطلقت الدولة الإسلامية في اكبر حركة فتوحات في التاريخ جمعوا فيها نصف العالم في نصف قرن مستفيدين من موقع مصر ومن أموالها ومن التراكم الحضاري المصري حيث ترجموا من علوم اليونان والرومان ليبدأ المسلمون حضارتهم الكبرى وحتى بعد سقوط الخلافة في بغداد احتضنت مصر الخلافة وصارت عاصمتها وعندما جاء الغزو العثماني للبلاد العربية وهزموا المماليك حققوا نهضتهم الثقافية والعمرانية من خلال المصريين و آثارهم الباقية في اسطنبول تشهد بعظمة وإبداع المهندسين والمعماريين والفنانين والعمال المصريين تأثر المؤمنون الأوائل بالديانات شبه متماثل فموسي كان له أسباطا و المسيح تلاميذ و محمد كان له صحابة وبنظرة خاصة كان الأسباط ١٢ والتلاميذ ١٢ و عند الطائفة الشيعية هناك ١٢ إماما وبنفس فكرة المخلص رأي اليهود انه من نسل الملك داود والمسيحيون يرون عودة يسوع المسيح والمسلمين ينتظرون نزول المسيح من السماء في صورة بشرية لأنه نبي ومعه يظهر حفيد النبي محمد وهو الإمام المهدي في آخر الزمان ومن أوجه الشبه في السلوك الإنساني للجماعات المؤمنة الأولي إننا نري كتبا مقدسة ملحقة بالنسخة الأولي مثل أسفار الملوك والأنبياء في العهد القديم وبعده التلمود وفي المسيحية أعمال الرسل بعد الأناجيل الأربعة وفي الإسلام تميز بسيط حيث إن السنة فعلا وقول(حديثا) وتقريرا ومحكومة بقاعدة (إن هو إلا وحي يوحي) مع اعتبار لبشرية النبي وعصمته (والله يعصمك من الناس) ويشترك محمد (صلي الله عليه واله)مع موسى (عليه السلام) انه صاحب شريعة ومع داود وسليمان انه نبيا وسياسيا وقائدا حربيا أيضًا و مع المسيح انه جاء ليغير العالم وان الأمم الوثنية ستحارب أتباعه وسيدافع المؤمنون عن أنفسهم كقول المسيح (ما جئت لألقي سلاما بل سيفا)،(جئت لألقي نارا على الأرض) وفي الحديث (جعل رزقي تحت سن رمحي)، (إنما بعثت بين يدي الساعة بالسيف) و(أمرت أن أقاتل الناس). ويشترك مع إبراهيم وإسماعيل في رفع قواعد الكعبة وتشترك الأمم جميعا في القبلة التي كانت بيت المقدس ثم صارت الكعبة قبلة ثانية للمسلمين .

كل هذه الدعائم الإيمانية لتثبيت اليقين في الله أفسدها تدخل الإنسان فلوث طهارة الرابطة الإيمانية من عند الله وحول رسالة الكتب و الأنبياء إلى تاريخ أو تراث فلم ينفذ أوامر الله و لم يحمد نعمه و لم يتبع تعاليمه وخان العهد وفضل الحياة الدنيا على الدار

الآخرة وأحب ملك الأرض أكثر من ملكوت السماء متبعا سيرة قابيل في تقديم المتردية والمنخنقة والموقوذة والنطيحة ناسيا أو متناسيا أن الله طيب لا يقبل إلا طيب وانه اغني الشركاء عن الشرك وان العزة والكبرياء له وحده فهو رب المجد ورب الجنود .كما قال الشاعر ايليا أبو ماضي عن ذلك نسي الطين ساعة انه طين حقير فصال تيها وعربد وكسي الخز جسمه فتباهي وحوي المال كيسه فتمرد وهو ما نؤصله بالمفهوم الشرعي المقام الأول للنفس من السبع مقامات (الأمّارة بالسوء و اللوامة والملهمة والمطمئنة الكاملة والراضية والمرضية والكاملة وهو مقام النبوة) كان لبني إسرائيل منها النصيب الأكبر من الكفر وقتل الأنبياء وازدراء الدين والكذب على الله فقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا وقالوا أنهم أحباء الله وأصفياؤه وقد عذبهم بكفرهم وتأمرهم على المسيح محاولين قتله وصلبه حتى لا تنتقل السلطة من أيدي كهنة السوء الذين اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا .الدولة الدينية التي صنعها بنو إسرائيل مشرعين من أنفسهم دينا جديدا مقتبسين صفة الإله في التشريع ويظهر ضلالهم في التوحيد المنقوص وان الله إلههم فقط دون العالمين وتغييرهم التوراة أيام السبي وكتمانهم أمر النبي العربي خاتم المرسلين مع علمهم به وقصة الصحابي عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان حبرا لليهود خير دليل عندما اسلم لله مع النبي وأصحابه وفي القصة المعروفة عندما سال النبي اليهود عن عبد الله قالوا هو سيدنا وابن سيدنا فلما خرج لهم واخبرهم بإسلامه قالوا عنه هو سفيهنا وابن سفيهنا .فما فعله بنو إسرائيل نتيجة الدولة الدينية من ابتداع للتشريع ما لم يترل به سلطانا أضلهم والحقيقة التاريخية والدينية و العقلية أن الله عادل لا يمكن أن يعطي حق التشريع للبشر حسب أهوائهم ومصالحهم و عواطفهم بل جعلها ثابتة في أصل الدين والكتاب وهو الذي قال (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه) فنتج عن تلك الدولة الدينية ميراث اسود من الضلال والاستبداد حتى الآن بان تجعل الجماعة الدينية من نفسها محتكرا للدين متحدثا وحيدا باسم الإله المقدس وأنها تملك الحقيقة وحدها وكان لها مندوب سماوي على الجنة والنار فيعلموا هم في الأرض ما في السماء والغيب لا يعلمه إلا الله فكيف يفترون (كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) ولهذا فان مفهوم المدنية والتقدمية يمكننا أن نفهم أنها لا تعارض التشريع الإلهي من زاوية أن الأحكام الإلهية ثابتة فهي وحي فلا يمكن الإضافة لها لانقضاء زمن الوحي وهي السقف الذي يقف عنده

المجتهد سواء في القوانين أو التنظيمات الحديثة المتعارف عليها ولهذا فان المشرع الحديث يتبع القديم ولا يتخطاه خارقا هذا السقف .لان بهذا يتحقق خطر الدولة الدينية وتكون اقصر طريق للكفر. قد يوجد حكم مستبد وظالم ولكنه لا يستمد أركانه من الدين أي لا يمارس استبدادا بسم الدين وقد يستمد أركانه من إخضاع رجال الدين لسلطته ولكنه لا يغير في الدين أو في شرائعه فيصطنع عقائد أو شعائر وهذا هو الفارق بين الدولة الدينية والدولة المستبدة والدولة المستبدة أفضل لأنها تفسد الدنيا وقد تصلح معها الآخرة أما الدولة الدينية فلا دنيا ولا آخرة .وهذا الحديث عند الدولة الدينية لا ينطبق أبدا بحال من الأحوال على عصور الأنبياء لان تعيين النبي عمل الهي فكل الحديث السابق عن طبيعة نظام الحكم في حالة الاختيار البشري فقط ولا يصح مقارنة النبي بأي حاكم مهما كان صلاحه ولهذا يجب التفريق بين الدولة الدينية الشمولية والدولة النبوية أو الحكم النبوي .وإننا لو أمعنا النظر لكان اقرب مصطلح حديث بمفاهيم هذه الأيام وليس بمفاهيم قديمة على الحكم الرشيد العادل من أتباع الديانات هو مصطلح المدنية والحضارة والتقدم لان جوهر الأديان تحسين حياة الناس وحياة الناس لا تتحسن إلا بتنفيذ أوامر الله (إني جاعل في الأرض خليفة)،(وما خلقت الجنس والإنس إلا ليعبدون)،(وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضي لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا)، وقوله(لا ينال عهدي الظالمين).

هذه المشكلات الناتجة عن استغلال الدين لأغراض سياسية يصاحبها هجمات من المشككين في الوحي أو الرسالة سواء من الملحدين أو عدم المؤمنين بدين معين فيطعنون فيه و قد عانى الإسلام في الوقت الحالي من الهجوم الشديد في عدة قضايا جوهرية وذلك لاعتبارها أمة تحتضر فيرى كثيرون أن الإسلام صار لا يملك أي أجوبة لأسئلة الحياة المعاصرة حيث يرى كثيرون أن منحنى الحضارة العربية الإسلامية قد وصلت للذروة في الماضي والآن وصلت إلى مرحلة الانحدار وذلك بسبب اضمحلال الدين كتعاليم وروحانيات فصار مركزا في بعض الشعائر والمظاهر والشعارات وما يعبر عن تراجع فكري كبير قد أوصل المسلمين إلى تراجع مادي وان التفاعل الإسلامي منذ ٣ قرون من

بداية الحداثة بطئ جدا خاصة في الدول العربية ففقدان المسلمين لريادتهم وقيادتهم في العالم اوجد عندهم حالة من المكابرة وإنكار الواقع ولازالوا يصرون باعتبارهم أتباع رسالة سماوية أن من حقهم بل واجبهم العودة لريادة العالم ولذلك يحتاج المسلمون اليوم لإصلاحات جذرية تبدأ من علوم الدين مرورا بالعلوم الأخرى وصولا إلى تغييرات اجتماعية وسياسية وثقافية كبيرة للقضاء على حالة الخلل الفكري والعقائدي المتوغل في العالم الإسلامي .فكلما ابتعدنا في الزمن زاد الشوق إلى نصائح الرسول ولكنه يستتبع زيادة في الأحاديث الموضوعة وظهورا للبدع والفكر الهدام .

مما يزيد التشبث بالنص حرفيا وليس روحيا أو علميا مما يعني ضرورة بذلنا جهد اكبر للحفاظ على الدين وأصوله وثوابته وأهمها العلم و أداته العظمي وهي العقل المسلم .والغريب ان المسلمون في القرن الثامن كانوا يشهدون جدلا علميا فلسفيا وتنوعا وثراء في المدارس الفكرية المختلفة حتى وصلت لطبيعة القرآن وطبيعة الله وهو مقياس التحضر في حين اليوم لا يكادون ثقافة الاختلاف والحوار.

وبالنظر للحركات التصحيحية والإصلاحية الكبرى في التاريخ بشكل عام أوسع من نطاق الديانة نجد أنها كلها متسقة معًا وكأنها تسير في نفس الخط لتحقيق أهداف الديانات بشكل عام، فكلها تخدم بعضها في تسلسل يكمل بعضها بعضا، وهذا طبقا لقانون الحاجة والانسجام، فهناك دائما هدف اجتماعي من وراء الدين، والنبي يتحدث عن مشاكل يواجهها المجتمع أكثر من دعوته إلى الإيمان بشكل مباشر انطلاقًا من الحاجة إلى التغيير الاجتماعي وتحقيق الانسجام النفسي، فموسى عليه السلام يتحدث عن مشكلة الظلم الذي يتعرض له بني إسرائيل وحاجته لرفع الظلم (أن أرسل معي بني إسرائيل) ويوسف دعا إلى العدالة الاجتماعية (اجعلني على خزائن الأرض) ولم يدع إلى الإيمان إلا في موضع واحد في السجن فقط، ولوط عليه السلام نجد أكثر حديث الآيات عن مشكلة المثلية ومثل ذلك، وشعيب يتحدث عن التطفيف والغش بالميزان، وهكذا تكون حاجة البشر هي أساس الإرسال والتوجيه الإلهي، فحالة المسيح توضح ذلك، فالقوانين الرومانية أكثر حضارة ورقيًا من شريعة كهنة بني إسرائيل، فلم يأت بشريعة مثل موسى وإنما جاء ليوحد الأمم وينصر الضعفاء، وأمثلة ذلك كثيرة كإنهاء القطيعة بين يهوذا والسامرة،

فالدولة الدينية التي حكمت صار معاداها كفر فكل منهم يكفّر الآخر، وفي القصة الشهيرة التي وردت في حوار يسوع مع امرأة سامرية في سوخار الإصحاح الرابع يوحنا ووردت في برنابا طلب يسوع الماء من امرأة سامرية فرفضت فقال لها سوف لو علمتي عطية الله لطلبتي مني الماء فأعطيك ماءً حيا، قالت له لا دلو لكي والبئر عميقة، فقال لها من يشرب من ماء هذا البئر يعطش أيضًا أما الماء الذي أعطيه أنا من يشرب منه لا يعطش أبدًا لأنه يصير فيه ينبوع إلى الحياة الأبدية إلى نهاية الحوار، حتى قالت المرأة السامرية آباؤها سجدوا في هذا الجبل والعبرانيون يقولون إن موضع السجود في أورشليم، فرد يسوع المسيح بأنه ستأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للرب، فاستطرد قائلا سيجد الساجدون الحقيقيون للرب بالروح والحق، وفي هذا رمزية رائعة جدا لأن المسلمين سيشربون من يد محمد صلى الله عليه وآله في الآخرة والماء والوعاء ترمز للعلم الإلهي والحكمة والوحي. وضلال اليهود باحتكار الدين والكتاب يصححه المسيح بقوله (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة حتى يكون الكل فمن نقض هذه الوصايا الصغرى يدعى أصغر في ملكوت السماء، ومن عمل وعلم يدعي عظيم في ملكوت السموات) ليصبح الفرق بين الحق والضلال هو إتباع أوامر الله من عدمه، وقوله (خاطب يسوع الجموع والتلاميذ قائلا على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوا فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون) وهو السبب الأساسي لضلالهم إنهم غيروا وبدلوا بحسب أهوائهم وليس بأوامر الله لان الدين للناس كافة وليس لجماعة واحدة أو لفئة دون غيرها مثل قول الإمام على عليه السلام عن هذا المفهوم الممتد اعرفوا الرجال بالحق ولا تعرفوا الحق بالرجال لان الرجل يتغير ام الحق فلا لان الحق من عند الله تعتبر بعثة محمد نبي الإسلام والتغييرات العالمية التي أحدثتها بين صراع قوتين كبرتين ظالمتين جائرتين في العالم وتحتهما حكم البشر.فالحاجة الواضحة لهذه الرسالة الأخيرة وقت تفشي الظلم والاضطهاد واستكمال مسيرة المؤمنين في الأمم السابقة ولهذا جاء الإسلام مناسبا لبيئته ولبيئات أخرى غير عربية سيدخلها الإسلام وهذا من عالمية الرسالة ومن هذا يري بعض الباحثين احتواء القرآن على كلمات غير عربية وان لم يفهمها العرب وقتها ففهم معانيها الأمم الغير العربية ومن هذا عبارات مسيحية سريانية وآرامية قديمة فكلمة حور عين تعني

العنب الأبيض وسورة القدر التي تحكي عن نزول القرآن والملائكة شبيهة بترنيمة مسيحية قديمة تحكي عن ولادة المسيح فالقرآن استمرار لبشارة السماء لان محمد يكمل ويتمم كل الرسالات السابقة وليس المسيحية فقط وحتي المعاني العقائدية مثل فرقان فكلمة فرقانو السريانية تعني الخلاص وهكذا صار المسيح خلاصا من النار والقرآن فارقا بين الحق والباطل فكلاهما خلاص من النار إلى الجنة. وتشابه الأحكام بين القرآن وبين شريعة التوراة كبير من صوم وتحريم الخنزير وتجنب النساء في المحيض وأشياء كثيرة والتشابه حتى في سلوك الأنبياء فعندما اختص موسى سبط لاوي الذي هو منه بالكهانة وعلم الدين فعل ذلك النبي محمد مع الإمام على عندما أراد أن يبلغ الوحي عندما نزلت سورة براءة بقوله لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي .ولذلك فان خطورة الحكم الديني يجعل القتل والاضطهاد سهلا حسب رأي الحاكم وهي اكبر عقبة في تاريخ الإسلام كاضطهاد الإمام أحمد وصموده في محنة خلق القرآن وكقتل الحلاج-حتى لو كان يستحق القتل-فان فكرة القتل بسم الله متوغلة و يجسدها تيارات التكفير والإرهاب الآن .لذلك فان على الأمة المؤمنة الصادقة ان تتجه اتجاه جديد بفتح الملفات الشائكة مرة واحدة ونحسم القضايا الفكرية المعلقة حسما علميا وعقليا يعيدا عن الأهواء والمذاهب متبعين طريق(الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا).